أبو إيمان ومبارك وشفيق

في عام ٩٨ دخل علينا في المعتقل شاب يبلغ من العمر ٢٤ سنة. اعتقل لأن أخاه الأكبر كان عضوًا في الجماعة الإسلامية واتهم في أحد القضايا ونكاية في الأسرة تم اعتقال الأخ الأصغر أيضًا مع أنه غير منتمي لأي تيار وهو يصلي فقط... هذا الأخ الأصغر كان لديه ولد اسمه إسلام يبلغ من العمر عام واحد وبنت اسمها إيمان تبلغ من العمر ثلاثة أعوام.

أبو إيمان مريض منذ صغره بالسكر ويعيش على حقن الأنسولين..وعند ترحيله من جهاز أمن الدولة بالجيزة -الشهير باسم جابر بن حيان- إلى معتقل دمنهور..تم استقباله كالعادة بحفلة تعذيب رهيبة وتعمد ضباط المعتقل كسر كل الأدوية التي يحملها كما هي عادتهم.

دخل أبو إيمان عليَّ الزنزانة رقم٢ بعنبر رقم٢ أيضًا ..كان عددنا في الزنزانة قرابة الثلاثين معتقلا..كان الشاب مذهولا يرتجف من التعذيب والخوف والقلق.. حاولنا طمئنته والتهوين عليه.. بعد قليل بدء يتحسس ملابسه ليخرج صورة لأطفاله استطاع اخفائها..نظر إليها طويلا وسكت .

وفي صباح اليوم التالي طلب منا أن ندبر له حقنة انسولين.. ولم يكن بوسعنا هذا فطبيب السجن - العميد دكتور أحمد نبيل- أحد كبار المجرمين الذي قتلوا الكثير من الشباب ويكفي أن تذكر اسمه أمام أي معتقل سياسي لتسمع عشرات القصص التي تعمد فيها قتل المعتقلين ووكان لا يسمح بأي أدوية تدخل للمعتقلين..استخدمنا حيلة فطلبنا من الشاويش أن يخرجه للقاء طبيب السجن لانه مريض مرض معدي قد يعدي الجميع حتى الشاوش نفسه

خرج أبو إيمان لمستشفى السجن وعاد بعد دقائق وقد ازرق وجهه من كثر الضرب.. فطبيب السجن المجرم عندما علم بحقيقة الموقف انهال عليه ضربًا ثم رده إلى الزنزانة بلا دواء...حاولنا بعدها كثيرًا أن ندبر له حقنة انسولين فلم نفلح.

في اليوم التالي كانت حالته الصحية تتدهور قررنا أن نتحمل الأذى ونرفض استلام الطعام حتى يحصل على الدواء وبالفعل رفضنا..وبعد عدة ساعات اغلق المعتقل واقتحمت القوة الضاربة من الأمن المركزي والمباحث وأمن الدولة والكلاب البوليسية علينا الزنزانة واشبعونا ضربا وتعذيبا وصعقا بالكهرباء لكننا قررنا أن نستمر للنهاية ورفضنا أن نستلم الطعام حتى تصرف له حقن انسولين نشتريها نحن بأموالنا المودعة في خزانة السجن.. لكنهم رفضوا وتركونا بلا طعام وبلا دواء.

كانت حالة «أبو إيمان» تتدهور بشدة وبدء يدخل في غيبوبة..وبمجرد فتح باب الزنزانة لعد المعتقلين في الصباح حملناه ووضعناه خارج الزنزانة وقلنا لهم اقتلونا أو اقلتوه لكننا لا ندعه يموت بيننا...تركوه ملقي في الأرض الباردة ساعات ثم حضر ضابط أمن الدولة وعقد معنا اتفاق...نقبل الطعام وننهي حالة الإضراب مقابل أن يعرض المريض على طبيب السجن ويصرف له الدواء وبالطبع قبلنا.

أتى الجنود وحملوه للطبيب وأدخل الشاويش الطعام للزنزانة..بعدها بقليل عاد الجنود به هو محمول على اكتافهم كما خرج..ادخلوه سريعا وأغلقوا الأبواب وخرجوا... وحين اقتربنا منه كان لا يزال في غيبوبة السكر وكانت رائحة الشواء تفوح من قدميه التي حرقها الطغاة بأعقاب السجائر...

وقبل صلاة العشاء أفاق ابو إيمان من غيبوبته... أفاق وهو يتسأل بهلع:ما هذا الظلام؟!.. لقد فقد المسكين بصره.

انهمرت الدموع من عيني وعين إخواني..امسكت بصورة طفلته «إيمان» التي كان يتأملها طوال الوقت...حين نظرت إلى ابتسامتها انهرت ووقعت على الأرض.. تمنيت وقتها أن أهديه بصري لينظر به إلى طفلته الجميلة كما كان يفعل دائمًا.

جلسنا طوال الليلة نبكي ونصلي ونتضرع إلى الله تعالى أن يشفيه وييسر له أمر حقنة أنسولين ثمنها بخس لكن يضن الطغاة عليه بها.

وفي الصباح أبلغناهم بما حدث له وظننا أنهم قد يوقفوا هذه المذبحة له..لكنه لم يحدث.. لم يكن في وسعنا سوى رفض استلام الطعام مرة أخرى..فلم يأبوا لنا..حل الظلام وبدء أبو إيمان يدخل في غيبوبة أخرى... ظللنا نصرخ على الشاويش «أخ بيموت يا شاويش» فكان يجيب بنبرته القاسية.. «لما يموت ابقى قولي عشان نرميه في الزبالة»

وفي منتصف الليل كنت أضع وجهي في الحائط ويدايّ على رأسي أحاول أن أبقى صامد ولساني يلهث «لاحول ولا قوة إلا بالله» حين صرخ المنادي «الأخ مات يا شاويش».

نعم مات أبو إيمان..وكتب على أطفاله أن يعيشوا عمرًا طويلًا في ظلمة اليتم والحرمان.

انتفضت مذهولًا..نظرت إلى وجهه ولم أرى شيئًا آخر بعدها...افقت وقد غسلوه ووضعوه لنصلي عليه.

لا أدرى كيف كانت صلاتي لم استطع أن أفعل شيئًا سوى البكاء والنحيب.

ثم فتح بابا العنبر ووجدنا أمامنا عدد هائل من الجنود والضباط بالاسلحة والصواعق الكهربائية...امرونا أن نتراجع لأخر الزنزانة وندير ظهرنا للباب..وحذرونا

من أي حركة ستقابل باطلاق الرصاص الحي فتح الباب طرف عين ثم اغلق..سحبوا جثمان الشهيد، واختفوا.

تم تحرير محضر رسمي أنه كان يعاني من أزمة قلبية ونقل لمستشفى السجن وأجريت له كافة الاسعافات والاجراءات الطبية لكنه مات بلا تقصير من إدارة السجن..طلبوا ثلاثة من المعتقلين ليشهدوا بهذا في المحضر فرفضوا.. تم تعذيبهم واقتيدوا إلى عنبر التأديب.. واغلاق المحضر بشهادة اثنين من المسجونين جنائيا في المستشفى على هذا.

هذه قصة واحدة من الآلاف القصص التي رأيتها بأم عيني في معتقلات مبارك والعادلي وحسن عبد الرحمن...مبارك الذي يحاكم اليوم..ليس لأنه قتل أبو إيمان والمئات غيره..ولكن لأنه حصل على فيلا رشوة...كأننا نحاكم «رئيس حي» أو محافظ مرتشي وليس مجرمًا من أعتى طغاة البشر

(مذكرات خالد الحربي -المرصد الإسلامي لمقاومة التنصير)

جرائم ضد الإنسانية

كشف أكثر من ٥٠ معتقلًا سياسيًّا من الإسلامين باختلاف انتماءاتهم التنظيمية عن عدد من الجرائم «ضد الإنسانية» التي كانت ترتكب في المعتقلات والسجون ومقرات احتجاز مباحث أمن الدولة في عهد وزير الداخلية السابق حبيب العادلي ورئيس مصلحة السجون السابق اللواء محمود وجدي -الذي يشغل حاليًا منصب وزير الداخلية في حكومة تسيير الأعمال- يقول مجدي عثمان -أحد المعتقلين المفرج عنهم مؤخرًا- أنه تم القبض عليه وكان يبلغ من العمر ٢٨ عامًا وعلى الرغم من حصوله على عشرات الأحكام بالبراءة وإخلاء السبيل من المحاكم إلا أنه كان يتم التحفظ عليه وإيداعه المعتقلات وفقًا لقانون الطوارئ لمدة ١٧ عامًا متوصلة ليخرج من السجن وقد تجاوز عمره ٤٥ عامًا.

وكشف «عثمان» خلال جلسة الاستماع التي نظمها مركز الشهاب لحقوق الانسان بالتنسيق مع مركز ضحايا لحقوق الانسان ومركز النديم لحقوق الانسان وجمعية بلدي لتنمية الديمقراطية عن جملة من الجرائم «ضد الإنسانية» التي تم ممارستها ضد المعتقلين الإسلاميين داخل السجون والمعتقلات ومقرات الاحتجاز بمباحث أمن الدولة.

كاشفًا عن أن إدارة سجن أبي زعبل كانت تقدم الطعام للمساجين بدون ملح في الطعام كما لم يسمح لهم بالخروج لمشاهدة الشمس وهو ما أدى إلى تلاشى الكالسيوم من الجسم وهو ما تسبب في وقوع الأسنان فضلا عن تقوص العظام مما منع الكثير من القدرة على السير، فيما يتم تعذيبنا داخل الزنازين بالضرب المبرح في كثير من الأحيان.

مشيرًا إلى أنه تم وضع المعتقلين بسجن أبى زعبل بزنازين ضيقة منعدمة التهوية فضلا عن عدم وجود إضاءة داخل الزنازين، فيما لا يسمح لنا بالشرب إلا من مياه الترع

وهـو ما يدفعنـا إلى تصفيتها أكثر من ٧ مرات لإزالة الطين منهـا إلا أن رائحتها لا تزول ولونهـا، كـما كان لا يسـمح لنا بالخـروج لقضاء الحاجـة في حمامات السـجن فكنا نقضى حاجتنـا في «أكيـاس» ونتيمم لنصـلي، فيما يتم عمـل تفتيش يومي كل صبـاح حيث يتم اقتحام الزنزانة وإخراجنا منها لنقف صف واحد وجوهنا إلى الحائط كما يتم التعامل مع الأسرى في الحروب ويتم تفتيشـنا ذاتيًّا بشـكل مهين ثم يتم سرقة كافة محتويات الزنزانة من قبل المخبرين ويتم إفراغ مياة الصرف داخل الزنازين.

فيما أكد محمد عمر عبد الرحمن – نجل الداعية الإسلامي عمر عبد الرحمن المعتقل في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة– أن نظام مبـارك كان قد ضاق ذرعًا مـن الداعية عمر عبد الرحمن وتم عرض منصب شيخ الأزهر عليه لاحتواءه إلا أنه رفض.

وأشـار: محمد عمر عبـد الرحمن إلى أن والـده تعرض لمحاولة اغتيـال عام ١٩٨٨ حيـث تم إطـلاق الرصاص عليه والقنابل المسـيلة للدموع، مشـيرًا إلى أن النظام لجأ إلى وضع أبيه رهن الإقامة الجبرية خلال الفترة ١٩٨٩ – ١٩٩٠.

لافتًا إلى أن أنه تقدم بعدة طلبات إلى وزير الداخلية الأسبق لترحيل أبيه إلى السجون المصريـة بعـد أن تم القبض عليه في الولايـات المتحدة الأمريكية والحكم عليه بالسـجن مـدى الحيـاة بتهمة التخطيط لقتل «مبارك» إلا أن جهـاز مباحث أمن الدولة رفض دائمًا عـودة «عمـر عبـد الرحمن» إلى السـجون المصرية، مشـيرًا إلى أنه طلب من شـيخ الأزهر السـابق التدخـل ولكنه رفض فيما تقدم بطلب إلى شـيخ الأزهر الحـالي ووعده بمحاولة التدخل إلا أنه لم يحرك سـاكنًا حتى الآن، وقال: تقدمت بطلب إلى القوات المسـلحة إلا أن وزير الداخلية الحالي يرفض عودة أبي.

ويقول محمد إسماعيل عبد الغني – الذي اعتقل لقرابة ٢٠ عام منذ عام ١٩٨١ – رأينا أهوال داخل سجن الوادي الجديد بعد أن تم إجبارنا أكثر من ١٠ مرات على الخروج من الصلاة لنقول بدلًا من «الله أكبر».. «مبارك أكبر» و«جمال أكبر».

مشيرًا إلى أنه داخل مقر أمن الدولة «لاظوغلي» المقر الرئيسي السابق لجهاز مباحث أمن الدولة تعرض مئات المعتقلين للتعذيب الوحشي، وقال: كنا نصلي ونحن معصوبي الأعين وحينما قام أحد المعتقلين بخلع العصابة عن عينه وجدنا أنفسنا نصلي كل في مواجهة زميله وليس باتجاه القبلة من الأساس، وكنا نتعرض لتعذيب نفسي وبدني عنيف بداية من القيام بحلق شعر الرأس والوجه والجسد كله وتركنا عرايا لفترات طويلة وضربنا وتعذيبنا بآلات حديدية ومواسير.

مشيرًا إلى أن ضباط مباحث أمن الدولة كانوا يجبرون المعتقلين على السير كالحيوانات على أيديهم وأرجلهم كما أجبروهم على قضاء حاجتهم كما تقوم الحيوانات باخراج فضلاتها، فضلا عن إطلاق أسماء نساء علينا، فضلًا عن التطاول على الذات الألهية خلال تلقينا سيل من الشتائم.

فيما أكد مجدي محمد موسي – أحد المعتقلين منذ عام ١٩٩٠ وحتى عام ٢٠٠٧ – أنه حصل على مئات الأحكام القضائية بالإفراج والبراءة إلا أنه لم يتم الإفراج عنه، مشيرًا إلى أن اللواء محمود وجدي رئيس مصلحة السجون السابق في عهد «العادلي»، ووصف « موسي « لمحمود وجدي بمهندس عمليات التعذيب التي كانت تحدث في السجون المصرية، لافتا إلى أن المئات من الشهداء تساقطوا في السجون خلال رئاسته للمصلحة.

وقال: كنا ٤٧ معتقل سياسي، مات منا ٨، وأتذكر السفاح الضابط وليد فاروق النادي، الذي كان يتولى تعذيبنا وكان يشترط علينا أن نتجرد تمامًا من ملابسنا، وكنا

بالتالي لا نصلى لأن عورتنا متكشفة، وكانت إدارة السجن تعطينا «بدلة خيش» كل عام، والـ٤٨ معتقل فقدوا أسنانهم جميعًا بسبب عدم وجود ملح في الطعام أدى إلى نقص الكالسيوم.

وأضاف: كنت في عنبر ٥ ، زنزانة انفرادي، وضابط السجن فتح لي الزنزانة وقال لي: ادخل الزنزانة إللي جنبك وخلى زميلك يفك الإضراب عن الطعام إللى عمله لأن مفيش حاجة عندنا بتجيب نتيجة معانا.

وأكمل كلامه قائلًا: فدخلت الزنزانة المجاورة لي ووجدت أخ «لا أريد أن أقول أسمه» ملقى على الأرض وبدون ملابس تمامًا فقلت له لماذا أنت مضرب عن الطعام فقال لي، كنت مريض فطلبت من إدارة السجن علاج فأعطوني، ولكن العلاج كان ليس علًاجًا لمرضي ولكنه كان منوم، ثم قام ضباط السجن بإدخال الجنائيين علي فاعتدوا علي جنسيًا، فقررت أن أضرب عن الطعام، وبعدها بلحظات قد فارق الحياة. وأضاف: كما أتذكر أخي «خالد كمال أبو المجد» الذي توفى أيضًا بعدما اعتدوا عليه جنسيًا واضرب عن الطعام حتى الموت.

وأضاف: أتذكر أخي «أحمد عبد الرحمن» الذي كان يعانى من مرض البواسير وظل ينزف لمدة ٣ سنوات دون علاج حتى مات بالجفاف، فرأيت من نظارة الزنزانة العساكر وهم يحملونه في بطانية ثم إلى ثلاجة الموتى.

أما أخي الشهيد «حسن محمد إبراهيم»، فقد مات من شدة التعذيب، وكذلك الأخ «مجدي عبد المقصود»، ولا استطيع أن أنسي الأخ الشهيد «نبيل على جمعة» الذي مات وهو جالس على الجردل أثناء قضاء حاجته، وكذلك الشهيد «أحمد عبد العظيم» الذي توفى عام ١٩٩٧ من شدة التعذيب في السجن، وكان الشهيد «يوسف صديق باشا» في الثلاثينات من عمره ومن شدة التعذيب كان يقضي حاجته على نفسه حتى مات.

مشيرًا إلى أن أكثر من قاموا بتعذيبهم في السجون كانوا وليد فاروق – ضابط أمن الدولة –و أشرف إسماعيل –رئيس مباحث سجن برج العرب.

وأضاف: قال لنا رئيس مباحث السجن ذات مرة « لو كنا حابسين حمار كان مات»، فرد عليه أحد المعتقلين إحنا معانا كتاب ربنا، فقام هذا المجرم بلم جميع المصاحف من كل الزنازين وأحرقها أمام أعيننا ونحن مكبلين الأيدي والأرجل، فضلا عن قيامه بجمع أكثر من ١٠٠ معتقل وإجبارهم على الطواف حول شجرة وقول « لبيك اللهم لبيك « وكان يضع صورة حسني مبارك ويقول لنا: اسجدوا تحتها.

(المصدر: موقع مصراوي بتاريخ ٢٠١١/٣/١ نقلا عن جريدة الدستور)

obeikandl.com

رعب وقمع وصعق داخل السجون

صعقات كهربائية، تعليق من الأرجل، تعذيب وقهر وظلم وتلفيق وكل ألوان الانتهاكات دون توجيه اتهامات، المعتقلون يروون لـ«شباب التحرير» آلامهم وأحزانهم في المعتقلات، والرعب والخوف والقمع الذي واجهوه داخل الأسوار.

يقول أشرف أحمد نور الدين المعتقل في الفترة من ١٩٩٤ إلى ٢٠٠٦ حتى الآن لا أصدق نفسي أني خارج السجن لما رأيته من ألوان العذاب التي تفتق ذهن ضباط أمن الدولة عنها حيث تم اعتقالي بدون أن توجه إلى أي تهمة أو محاكمة، وتم ترحيلي إلى جهاز أمن الدولة وأنا معصوب العينين وهناك رأيت جهنم الحمراء من شدة هول العذاب، بداية من الصعق بالكهرباء في الأماكن الحساسة في الأذن واللسان والأعضاء الذكرية، وبخلاف الضرب بالسياط. ويضيف أنني أكثر من مرة أفقد الوعي ويتم التحفظ عليّ في ثلاجة الموتي للتشريح ويكتشف طبيب السجن أن النبض مازال موجود، كل أنواع العذاب رأيته في سجن استقبال طرة أ، ب، د وأبو زعبل والوادي الجديد حيث قضيت ١٢ سنة خلف الأسوار، ويسأل من يعوضنا عن سنين عمري التي ضاعت وعن صحتي التي تدهورت.

ثم يلتقط أنفاسه ويضحك ويقول إنه تم الإفراج عنه بحجة أنهم اكتشفوا أني مظلوم!

ويوضح خالد الشنتال من سوهاج طهطا بأنه تم اعتقالي عام ٨٦، ٨٧، ٨٨ وأفرج عنه وبعد ذلك تم اعتقالي عام ٩٤ وأفرج عني عام ٢٠٠٨ يقول إنه لف سجون مصر كعب داير وكل سجن كان في انتظاره حفلة تعذيب تختلف عن الأخرى مع العلم أنه لا يوجد لي أي انتماء سياسي أو ديني وأفرج عني أكثر من مرة، وأذهب إلى قسم الشرطة

للإفراج عني ثم أعود للمعتقل، وأتذكر أن في إحدى المرات أفرج عني وذهبت إلى قسم شرطة السادات للإفراج عني وأنا في حراسة مشددة ثم بعد ذلك تم إعادتي للمعتقل مرة أخرى ثم ذهبت إلى قسم شرطة تلا وتعاد الكرة من جديد، ويوضح أنه سجن في وادي النطرون وسجن الاستقبال ثم رحلت إلى سجن العقرب (سمي بذلك لأنه شديد الحراسة) سجن الفيوم حتى تم الإفراج عني عام ٢٠٠٦.

وقال كنت أدعو كل يوم أن أموت حتى أستريح من العذاب لأن من يموت كانت أمه داعية له حيث كل شيء في السجن تفوح منه رائحة الموت والعذاب والإهانة.

والمضحك في الأمر تم الإفراج عني بحجة أني اعتقلت علي سبيل الخطأ.

ويطالب بالقصاص من النظام السابق الذي أهدر كرامتنا وضيع سنين عمرنا ونناشد رئيس مجلس الوزراء بالإفراج عن المعتقلين السياسيين لأنهم لا يمثلون أي خطورة، حتى تكون بداية لصفحة جديدة مع النظام لكي تعود الثقة بين الشعب والداخلية كما عهدنا مع الجيش.

ويوضح بأنه هناك أسماء ضمن المعتقلين محمود محمد أحمد وفتحي محمد ومحمد خلف وعصمت محمد جميل ومحمد عصام مصطفى وضياء محمد.

أما عبد اللاه اليماني من المراغة بسوهاج فيقول: رغم أني اعتقلت لمدة عشر سنوات من عام ١٩٩٤ إلى ٢٠٠٤ وسجنت بعدة سجون طرة وأسيوط والفيوم ورأيت كل أنواع العذاب إلا أني مسامح في حقي من أجل أمن واستقرار مصرنا العظيمة وكل ما أرجوه من وزير الداخلية صفحة جديدة مع الشعب وضمان إجراء تحقيق واضح وشفاف في جرائم التعذيب التي تعرض له المعتقلون من خلال تشكيل لجنة للتحقيق في هذه الجرائم.

ويدخل في الحديث ناصر حسن حسانين من سوهاج المراغة فيقول: بأني اعتقلت عام ١٩٩٥ حتى ٢٠٠٥ حيث كانت أمنية حياتي الالتحاق بكلية الطب بعد الثانوية العامة، ويقول إني لم أقترف أي ذنب سوي المواظبة على الصلاة في المسجد مما اعتبروا هذا السلوك إرهابيًّا من وجهة نظرهم وتم حبسي على مدار عشر سنوات في عدة سجون منها وادي النطرون ٢ والأبعادية ووادي النطرون ٣ والوادي الجديد.

ويوضح أنه رأي أبشع صور العذاب التي لا تراعي أبسط حقوق الإنسان ولا يستطيع أكبر مخرجي الأفلام الواقعية أن يخرجها في فيلم للجماهير من شدة العذاب.

ويقول إن الزنزانة عبارة عن ٤×٦م بها أكثر من ٣٠ نزيلًا وكنا لا نستطيع النوم إلا كالقرفصاء ولا توجد مياه والرائحة العفنة منتشرة ولذلك انتشرت الأمراض المعدية مثل الدرن والأمراض الجلدية، ولا توجد رعاية طبية وكذلك الاتصال ممنوع حيث كان التفتيش يتم بصفة دورية وإذا عثر على جريدة عند أي نزيل يتم إحالته إلى حفلة عذاب يقودها الجنود بالكرباج والشوم علاوة على السب والقذف والإهانة بسبب وبدون من باب التأديب.

ويوضح رمضان بهنسي من ساقلته من سوهاج بأني اعتقلت من ١٩٩٥ إلى ٢٠٠٥ ورحلت إلى عدة سجون منها النطرون ٢ وأبو زعبل والفيوم والوادي الجديد، ويوضح أنه تم الافراج عليه أكثر من ٨٠ مرة ويعاد اعتقالي بدون توجيه أي تهمة لي.

ويوضح بأن سجن أبو زعبل شديد الحراسة والمعاملة فيه غير آدمية حيث تم التفتيش لأهالي السجناء ذاتيًّا بطريقة مهنية ويتم ختم أيدي الرجال بختم أسود ليميزهم عن النزلاء.

(الأهرام الرقمي بتاريخ ٢٣ فبراير ٢٠١١)

جهادي من عائلة مبارك يروي أسرار سجون النظام البائد

جحود المخلوع امتد إلى أبن ابنة عمه الذي ألقي به لمدة ١٦ سنة من معتقل إلى معتقل «بتهمة التخطيط لقلب نظام الحكم» لأنه كان ينتمي إلى جماعة الجهاد الإسلامية وفشلت كل محاولات ابنة عمه في إخراج ابنها عبدالرحيم عبدالغفار من المعتقل وكان رده عليها في طلبها له بالافراج عنه «اعتبري أن لديك ابنًا واحدًا».. عبدالرحيم كان يرى مبارك طاغية لا يقيم حدود الله ويجب قتله وكان ينوي اغتياله كما فعلت الجماعة الإسلامية مع السادات ولكنه لم يتمكن من ذلك لاعتقاله..

في البداية نريد أن نعرف سيرتك الذاتية ودرجة قرابتك بالرئيس المخلوع؟

اسمي عبدالرحيم عبدالغفار عبدالباري درست في كلية الهندسة جامعة المنوفية سني ٥٥ سنة متزوج ولدي ٦ أولاد.. والدتي السيدة إحسان محمود مبارك ابنة شقيق والد مبارك فهو بمثابة خالي في تصنيف درجة قرابة العائلة، وجدي هو شقيق والد مبارك.. ولم أكن أفتخر بهذه القرابة من الرئيس المخلوع لأنه لم يكن يقيم شرع الله ويضطهد الإسلاميين ويحتكم نظامه إلى قوانين تحل ما حرم الله وتنحي شرع الله عن الحكم ولم يكن هذا فقط في عهد مبارك وإنما كان منذ عهد الرئيس عبدالناصر الذي اضطهد الإسلام ومن بعده السادات الذي تم اغتياله ثم مبارك الذي قتل وشرد وعذب الكثيرين من الجماعة ومشايخ الأمة والإسلاميين في المعتقلات والسجون مثل هذا النظام ورأسه لم يكن لأفتخر بالانتماء إليه بل كنت أسأل الله أن يمكنا من كل الأنظمة التي لا تقيم شرع الله، فلم تكن لي علاقة مباشرة بالمخلوع وكنت أتجاهله وأحتقره وأتعمد ذلك أمام كل أقاربي ولم أحرص يومًا على التقرب منه لأنني كنت أرى أنه كافر ونظامه كافر لابتعاده عن الشريعة الإسلامية.

وماذا عن علاقتك الشخصية بمبارك؟

كما ذكرت لك لم يكن يشرفني أي علاقة بهذا الرئيس تطبيقًا لقول الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ وكنت اتعمد عدم الاستماع إلى أي أخبار تخصه وهذا الأمر كان يغضب والدتي التي كانت تحب كل أقاربها، وكان يغضبها كثيرًا لأنها لم تكن ترتضي مطلقا أن أتحدث عن مبارك بسوء. وكانت تطلب مني عدم الحديث عنه بهذا الشكل وكنت على رأيي فيه أنه طاغية كمن سبقة من الرؤساء الذين لا يقيمون شرع وحدود الله، وعلى عكس الرئيس المخلوع فأشقاؤه محترمون جدًّا وكثير من أفراد عائلته وإن لم يكن لي اختلاط بهم بشكل كبير ولم ألتق بأحد منهم إلا شقيقه «عصام مبارك» التقيته في عزاء جدته وتحدثت معه قليلًا وهو معروف عنه إنه كان ينكر أهله ولا يودهم ولا يصل رحمه فالذي يضطهد شعبه ويقتل كل من ينادي «لا إله الا الله» ويزج بهم في السجون ليس له خير في أهله وهذا ما اكتشفه الشعب وشاهده طوال هذه السنوات بعد ٣٠ عامًا من القمع، ولم ألتق مبارك إلا مرة واحدة كانت في عزاء وفاة جدتي «زوجة عمه»، وكان هذا عام ١٩٧١ قبل أن يصبح رئيسا، وكان في ذلك الوقت قائدا للقوات الجوية المصرية، ولم ألتق به بعد هذا الوقت، وحتى بعد اعتقالي في المرة الأولى عام ١٩٧٩ في يوم مقتل السادات والمرة الثانية عام ١٩٩٣ ولم يكن لأتقرب من شخص اضطهد الإسلاميين ويستخدم شعبه ويحكمهم بالحديد والنار.

ولكن كثيرين من أبناء العائلة استفادوا بعلاقتهم بمبارك؟

لقد أدركت من البداية أنه يخالف شرع الله وكنت أقول للعائلة وأبين لهم مدى عصيانه لله وطغيانه هو ونظامه البعيد عن حكم الدين وكان هناك البعض من أفراد

العائلة من يفتخر بأنه من أبناء عمومة مبارك ويتحدثون عن هذه العلاقة في كل مكان رغم أنه لم ير أن يعرف أحد من العائلة وابتعد بزوجته وأبنائه عن الجميع وكانت «سوزان» تمنعه من الاقتراب من أي فرد بالعائلة وكانت السبب الرئيسي في سقوطه هي وأبنائه ولو سمحت لنفسي من التقرب منه لكانت جرفتنا الدنيا فهناك أشخاص لديهم فنون في صناعة الطواغيت وأذكر يوم كنت في جنازة زوجة خالي وهي أخت الدكتور «أمين مبارك» وكان العزاء في مسجد الحامدية الشاذلية وذهبت إلى العزاء وبعد أداء الواجب وكانت هناك تشريفة عسكرية من الجيش والداخلية وتوجهت إلى سيارتي ووجدت ضابطًا يحمل رتبة عسكرية يفتح لي باب السيارة فأيقنت منذ هذه اللحظة أننا نصنع الطواغيت بأيدينا ونصل بهم إلى درجة الألوهية فالمخلوع كان همه إرضاء الأمريكان ومعاداة الإسلام وعلى قدر حجم هذه المعصية كان بغضنا وكرهنا له.

ماذا عن بداية اعتقالك ودور مبارك في ذلك؟

مبارك لم يكن له دور في اعتقالي بشكل شخصي ولكن نظامه الذي نكل بالإسلاميين وفتح لهم السجون والمعتقلات ومنع عنهم ضوء الشمس وأبسط حقوقهم في رؤية ذويهم وكان من يعرف بعد اعتقالي بدرجة قرابتي إلى مبارك «يتوصى» بي حبتين وكانت بدايتي مع الدعوة والاعتقال عام ١٩٧٧ كان عمري ٢٢ عامًا وتم اعتقالي في القضية الأولى عام ١٩٨١، وهي قضية الجهاد القديم عقب اغتيال السادات بعد أن ظل أمن الدولة يراقبني لشهور. ثم تم اعتقالي في القضية الثانية عام ١٩٩٣ في القضية المعروفة بطلائع الفتح ووجهت لي تهمة محاولة قلب نظام الحكم وهي التهم التي كانت توجه إلى كل الإسلاميين الملقون في السجون وظللت معتقلًا لمدة ١٥ عامًا حتى ٢٠٠٨ في هذه الفترة بعد إلقاء القبض عليّ أودعت في مبنى أمن الدولة ومارسوا ضدي وضد كل من ألقي القبض عليهم مختلف ألوان التعذيب، جردوني من ملابسي كاملة لمدة ١٥ يومًا

معصوب العينين وموثوق اليدين من الخلف وتعرضت للكهرباء والتعذيب والحبس في غرفة مملوءة بالمياه وألوان عديدة من التعذيب وانتهاك الآدمية وذلك لأننا طالبنا بحتمية تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد، وقلت إنها أفضل علاج لصلاح المجتمع، ووجهت نقدي في دروسي وخلال التحقيق معي من قبل أفراد جهاز أمن الدولة بأن تطبيق القوانين الوضعية جاء بالمفسدين وسبب الفساد في مصر ولا بد من تغييره، وانضممت إلى الجهاد بسبب أن توجهي كان يهدف إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجدت هذا التوجه وأفكاري تتفق مع فكر الجهاد الذي ينادي باتباع سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأمر بالمعروف والدفاع عن المظلومين وتخليص البلاد من كل الطواغيت، وعندما كان يعرف ضباط أمن الدولة بقرابتي بمبارك كانوا يزيدون في التعذيب والتنكيل بي وكانوا يقولون «كيف وأنت أحد أقاربه تريد الانقلاب عليه» وبالتأكيد كانت تصل هذه التقارير عني إليه والنتيجة معروفة ومتوقعة فما كان يتم مع كل الأخوة من الإسلاميين كانت تتم معي وبالتأكيد إنه كان وراء استمرار حبسي والتضييق علي داخل المعتقل، فعندما تم القبض علي وعرف ضباط السجن أنني قريب حسني مبارك بدأوا في ممارسة الضغوط للتراجع عن أفكاري وتوجهاتي، وطلبوا مني صراحة أن أفشي أسرار الجهاديين الإسلاميين، وأن أعلن أنني أخطأت في معرفة أفراد تنظيم الجهاد، كوني قريب مبارك ولكني رفضت وأتذكر أن أحد الضباط في بداية اعتقالي داخل سجن العقرب شديد الحراسة قال لي «أنت من عائلة مبارك ونحن نعاملك معامله حسنة للعدول عن أفكارك، والمفروض أن تحاول حماية الرئيس وعائلته وليس التحريض ضده» وقلت: إنني فرد من آلاف المعتقلين من الإسلاميين والجماعات وغضب الضابط وصدر قرار بمنعي من الزيارات واستمر هذا الوضع أكثر من ١٢ عامًا، لا أعرف شيئًا عن أهلي ولا أراهم، وكان الأمن يسعى حينها لمنع من يقبعون في السجون من رؤية ذويهم لفترات طويلة.

هل فكرت في اغتياله كما حدث مع السادات وأنت تنتمي إلى جماعة الجهاد؟

كنت أتمنى اغتياله ولكن لم تأت فرصة وكل محاولات الاغتيال التي لم تتم ووددت لو أنني مشارك بها فهو طاغية مثل غيره من الطواغيت التي حكمت مصر وكنت أتمنى إزالة الطواغيت وتطبيق شرع الله وبعد حادث اغتيال السادات وفرض قانون الطوارئ في ٨١ وجدت مبارك أشد ظلمًا وتمنيت ولكن لم يتم ذلك.

وهل حاول أحد من أقاربك التدخل لدى مبارك للإفراج عنك؟

لم يكن يجرؤ أحد في العائلة على مواجهة غطرسة مبارك وتعاليه على أسرته وعلى كل الناس وكان الوحيد الذي يجرؤ على مواجهة مبارك هو شقيقه «أمين مبارك» ومع ذلك لم أكن أريد أي وساطة ولا تدخلات من أحد لديه أو لدى أحد الأقارب من العائلة ممن يملك سلطة الإفراج عني وكانت والدتي من منطلق شعور الأم التي لا تستطيع أن تترك أي ابن من أبنائها يعاني خلف السجون والمعتقلات فحاولت الوصول إلى مبارك وفشلت، وسمعت من أحد ضباط أمن الدولة يقول لأحد المعتقلين معي إن والدتي قابلته وتوسلت إليه للإفراج عني بعد سنوات طويلة قضيتها في المعتقل وكان رده لديك ابنان اعتبري أنك لم تنجبي إلا واحدًا هذه العبارات كان يرددها ضباط أمن الدولة أثناء تعذيبهم للمعتقلين.. بعدها لجأت والدتي إلى شقيقه أمين مبارك الذي وعدها بالتدخل لدى الرئيس السابق للإفراج عني وقد طلبت من والدتي عدم الذهاب إلى مبارك، لأنني أعرف طبيعة كل طاغية وطبيعته التي يحكي عنها كل أقاربه بقسوته على من حوله، من أهله بالإضافة إلى أنه لم يكن يسمح لأحد من العائلة بالتحدث أو التدخل في أمري.

وهل كنت تشعر أنه من الممكن أن يستجيب إلى هذه التوسلات ويفرج عنك؟

عندما تم القبض عليَّ تم اتهامي بمحاولة قلب نظام الحكم في مصر بالقوة وكان مبارك في الحكم وكانت قناعتي بتطبيق الشريعة الإسلامية والاحتكام إلى الكتاب والسنة وتطبيق الشريعة الإسلامية وكل هذه الأفكار التي نؤمن بها ما كان ليعفو عنها حاكم لا يقيم حدود الله لذلك أدركت أن مبارك لن يسمح أبدًا بخروجي من المعتقل ومنذ اعتقالي المرة الأولى عقب اغتيال السادات النيابة حفظت القضية لأنه لم تكن هناك قضية وتم الإفراج عنا وبعدها عادوا إلى اعتقالي عام ٩٣ وكان من الطبيعي أن النظام لن يرضى عني ولن أرضى عنه.

وكيف كان شعور عائلتك بعد اعتقالك من قبل نظام يحكمه رئيس من عائلتك؟

لا أستطيع أن أصف لك شعور الأهل والأسرة التي تفقد عزيزًا لها لا تعلم مصيره خلف غياهب السجون والمعتقلات التي حملت أسماء طغيان وجبروت النظام الذي يحكم فمن العقرب إلى أبوزعبل إلى القلعة تعاني الأمهات والأزواج والأشقاء في البحث عن المعتقلين.. ولقد تعب شقيقي جدًّا ضابط الشرطة المستقيل وتعرض لكل ألوان الإذلال أثناء التعامل مع ضباط أمن الدولة الذين كان فردا منهم في يوم من الأيام فشقيقي «مصطفى» كان ضابط شرطة ولكنه استقال لأنه لم يرض أن يستمر في مهنة لم تراع حدود الله وحقوق الشعوب وقرر أن ينحاز للناس فترك الخدمة في الشرطة وبدأ رحلة البحث عني من سجن إلى سجن وتعبت شقيقاتي كثيرًا في البحث وعانوا ليالي طوال وساندوني في محنتي.. وتعبت والدتي رحمها الله كثيرًا وهي تذهب إلى أقاربها وأبناء عمومتها وتحثهم التدخل لدي الرئيس للافراج عني وكانوا يعدونها بهذا دون فائدة

وكانت تحدث «أمين مبارك» و«مصطفى مبارك» بشأن الافراج عني، وعندما قبض علي وأودعوني سجن العقرب منعت من الزيارة وقاموا بإغلاق السجون ومنعوا الزيارات نهائيًا في ٢٠ / ١٢ / ١٩٩٣ واتبعوا معنا أساليب ممنهجة في التعذيب وفتنة الملتزمين ومنعوا عني الزيارات رسميًا.. وفي محاولة لإثنائي عن أفكاري ضغطوا علي أخي ليبعث لي برسالة وأخذ ضابط أمن الدولة يساومني «ويقول لا يحق لفرد من عائلة مبارك بالتآمر ضده» وقلت لهم انكم أغلقتم السجون على آلاف المعتقلين وضيقت عليهم ولن أقبل بما تعرضوه فقام الضابط بتمزيق الرسالة وبدأت المعاملة السيئة تزداد سوءًا.

كيف كان خروجك من المعتقل؟

قضيت في المعتقل ١٦ عامًا وخرجت في عام ٢٠٠٨ بعد أن نقلوني إلى مقر أمن الدولة قال لي ضابط أمن الدولة لا تتحدث إلى الاعلام ولا الصحافة نهائيًا وهذا أمر ممنوع التحدث إلى أحد إلا بعلم ضباط جهاز أمن الدولة المنحل، وسألني الضابط عن رأيي في ضباط الشرطة فقلت له إذا دخل الطالب كلية الشرطة وفي نيته أن يكون عدوًا للإسلام والمسلمين فهو كافر، وإذا كان دخل وفي نيته مواجهة الإسلاميين فهو كافر.. أما إذا دخل ليكون موظفًا لدى الدولة ويعرف الحلال والحرام والصواب والخطأ فو شخص محترم.. وسألني عن مبادرة سيد إمام قلت له ليس لي علاقة بها ولم أقم بعمل أي مبادرات وطلب مني ممنوع الحديث عن مبادرة «سيد إمام» بكلام أنها جيدة أو سيئة.. وبعد خروجي طلب مني المتابعة وكنت أذهب إلى مبنى أمن الدولة في الشيخ زايد وكانت متابعتي اسبوعيا وذهبت ٦ أو ٧ مرات وامتنعت بعدها عن الذهاب.

وكيف استقبلت خبر الثورة المصرية وسقوط نظام مبارك؟

في الحقيقة الثورة المصرية منَّة من الله تعالى على الشعب المصري ومع بداية ثورة تونس كانت لدى شقيقتي سيارة «كتبت عليها مبروك لتونس وعقبال مصر» وفرحت

جدًّا لإزالة هذا الطغيان في تونس وسألت الله أن يزول الطغيان في مصر.. وعندما قامت الثورة لم أكن أتوقع أنها ثورة وعندما نزلت إلى الشوارع ووجدتها ثورة حقيقية بعثت بعدة رسائل إلى كل الأصدقاء والله وكانت البشرى من الله بسقوط نظام الطاغية حسني مبارك وأعوانه.

وما هو إحساسك وأنت ترى مبارك وأسرته خلف القضبان؟

لم أتشف في مبارك عندما رأيته خلف القضبان هو وأبناءه الذين زادوه طغيانًا وكفرًا ولم نتشف مع أن الله يقول في كتابه العزيز ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ فما فعله مبارك في حق شعبه لابد أن يحاسب عليه ويتلقي سوء الجزاء لأنه عصى الله وأزل شعبه وقتل الكثيرين من الإسلاميين وإن كنت اتمني أن يعلن توبته لله ويندم ويعترف أمام شعبه بكل ما اقترفه من ذنوب وأن يرد مال المسلمين ويكشف عن حساباته.

وكيف ترى الانسجام بين التيارات والأحزاب الإسلامية الموجودة؟

لم أنضم إلى أي حزب من الأحزاب الدينية الموجودة وإن كان هناك قليل من الفرقة بينهم واتمني أن تتوحد جميع الفصائل الإسلامية وإن كان البعد بينهم قائما ودخول التيارات الإسلامية في العمل السياسي سوف يغير البلاد، وسوف يكون مفيدا لمصر، بشرط عدم فصل الدين عن السياسة، لأن الدين والسياسة شيء واحد، ومن مقاصد الشريعة حفظ الدين، وعمل الإسلاميين بالسياسة سوف يحدث حراكا في المجتمع، لأنهم ينادون بالفضيلة والعفاف ويخافون علي أفراد الشعب المصري، لذلك فهم جادون في مسألة تأسيس الأحزاب السياسية سواء من قبل جماعة الإخوان المسلمين أو التيار السلفي أو الجماعة الإسلامية. والبعد بين الاحزاب يرجع إلى البعد بين القيادات لأنهم جاءوا في ظروف مختلفة أوجدها النظام السابق وكل جماعة تثق في قياداتها دون الآخرين

واتمنى أن يعود إلى علماء الأزهر الربانيين مكانتهم في توجيه الأمة وتقويم المسيرة.. والشعب يريد أن يكون مجلس الشعب القادم تحت الحكم الإسلامي الذي يطبق شرع الله ويقيم حدوده.

وماذا عن ذكرياتك الأليمة في المعتقل؟

أتمنى أن تتخلص مصر من كل الظلم وألوان العذاب التي كانت سائدة في ظل النظام السابق وأطالب باطلاق سراح باقي المعتقلين فمازال هناك ٥٠ معتقلًا صادر ضدهم أحكام عسكرية قضوا هذه المدة ومازالوا في المعتقلات يعانون الشيخوخة وتطاردهم الأمراض فالمعتقلات شديدة الظلمة ففي أثناء اعتقالي في سجن العقرب من بداية عام ١٩٩٣ حتى عام ٢٠٠٢، وفي أول ٦ شهور كنا نجلس ثلاثة أفراد في غرفة واسعة، حتى طبقوا علينا الحبس الانفرادي لمدة ٧ سنوات كنهج متبع للضغط على كل أفراد الجماعة الإسلامية، وكان باب زنزانة السجن لا يفتح إلا للضرب، وكان الطعام يقدم لنا من خلال فتحة في باب حجرة الزنزانة وبعد عام ٢٠٠٢ تم ترحيلنا إلى سجن أبو زعبل الذي مكثنا فيه ثلاث سنوات لا نري النور أو شعاع الشمس في غرفة يحتشد فيها ٥ أفراد في مساحة متر ونصف، يتناوبون فيها النوم ثم تم ترحيلنا إلى سجن المرج المجاور لسجن أبو زعبل وأغلقوا علينا الأبواب والمنافذ طوال فترة الإقامة به، ثم تم ترحيلنا إلى سجن الاستقبال في طرة وقضينا سنوات طوال من سجن إلى آخر.

وكيف تري مسيرة الجهاد والجماعات الإسلامية بعد ما تشهده الساحة من نشاط سياسي للجميع؟

حتى الآن لم أر أي نتيجة وما أراه أن الشعب يريد أن يحتكم إلى شريعة الله فهذا ما سيحقق لنا الحرية والعدالة التي نطالب بها وقبل الثورة كان أفراد تنظيم الجهاد يعانون الاضطهاد من المخلوع مبارك ونظامه، وهم السبب الحقيقي في خروج المصريين أثناء ثورة

٢٥ يناير التي أسقطت النظام، وفي خروج الجماعات الإسلامية أيضًا من قبل للمطالبة برحيله هو ونظامه. وكانت رؤيتنا كإسلاميين منذ مقتل الرئيس الأسبق السادات أنه مثل هذه الطواغيت ويجب إزالتها، وكنا نريد أن نفعل ذلك بأيدينا منذ ٣٠ سنة، بدلًا من التضحية بالشباب الذين استشهدوا في أحداث الثورة المصرية.

المصدر: (جريدة الموجز العدد ٢٨٤) و(مدونة المجاهدون في مصر)

obeikandl.com

ذكريات د. ياسر برهامي في المعتقل

ولد ياسر حسين محمود برهامي حشيش في محافظة البحيرة وتحصل على بكالوريوس الطب والجراحة في عام ١٩٨٢ وفيها وعلى يديه ويد الأطباء محمد إسماعيل وأحمد فريد نشأت الدعوة السلفية.. وأثناء وجودهم في الكلية نشرت الرسائل الإسلامية وانتشرت محاضراتهم وخطبهم في الاسكندرية..

تخصص الشيخ ياسر برهامي في الاعتقاد ودرس كتب محمد عبد الوهاب وخاصة كتاب التوحيد غير مرة، وكذلك كتب شيخ الإسلام ابن تيمية. له دروس كثيرة في العقيدة والتفسير والحديث والأصول وخاصة في مسجده القريب من بيته.. فله كل يوم درس أو درسين لخاصة طلبة العلم في مسجده، هذا عدا محاضراته العامة

شارك في تأسيس معهد إعداد الدعاة للمدرسة السلفية بالإسكندرية والتدريس فيه، حيث قام بتدريس مادتي التوحيد وأصول الدعوة إلى حين إيقافه سنة ١٩٩٤م. أيضًا قام بالمشاركة في كتابة مقالات مجلة صوت الدعوة إلى حين إيقافها سنة ١٩٩٤.

أنشأ حركة دعوية مع أقرانه من دعاة الإسكندرية (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة)

يقول الشيخ:

عن تجربة الاعتقال التي كانت رغم قصرها ثرية بعديد المواقف والمحاكاة يسهب برهامي في الحديث قائلًا: بالنسبة إلى فترات الاعتقال ذكرت أن شعارنا في ذلك «والله لا يعطونني خطة يعظمون بها حرمات الله إلا أجبتهم إليها»، ومن ثم لم نسع إلى صدام، ولذلك كانت فترات سجننا قصيرة وفي الغالب لأسباب خارجة عنا تمامًا فالشيخ محمد إسماعيل تم القبض عليه في أحداث ١٩٨٠، وكذلك الشيخ أحمد حطيبة والشيخ أحمد فريد بسبب عدم حلق اللحية في الجيش، وتم القبض عليَّ أنا والشيخ أحمد فريد والشيخ

فاروق الرحماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد محاولة اغتيال حسن أبو باشا وزير الداخلية عام ١٩٨٧، ومكثنا في المعتقل شهرًا أو أكثر قليلًا في سجن «استقبال طرة»، ثم كانت قضية ١٩٩٤ ولم يمكث فيها الإخوة أكثر من شهر، ثم كانت القضية الأخيرة ٢٠٠٢ والتي طالت قليلًا للظروف التي أشرت إليها، وخرج إخوتنا تباعًا، والحمد لله لم يبق منهم أحد ونسأل الله أن يفرج كرب جميع المسلمين.

ووالله تجربة السجن كان فيها رحمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن الإنسان كان بدأ ينشغل انشغالًا شديدًا جدًّا في العمل الدعوي فكان لا توجد فرصة للعبادة والذكر كما كانت موجودة في فترة السجن، وتوثقت العلاقة مع شخصيات كثيرة جدًّا وإخواننا الأفاضل الأحباء، فكانوا في الحقيقة من الناحية الإيمانية جوًّا مفيدًا جدًّا، ومن الناحية الدعوية الإنسان شعر بلا شك بفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بتعمير المساجد وذكر الله عَزَّوَجَلَّ فيها، وكان الإنسان يشعر بألم شديد جدًّا حينما تأتي خطبة الجمعة، وهو يخطب في طرقة ويصلي في زنزانة فكان أمرًا مؤلمًا للنفس أن يحرم الإنسان من تعمير المساجد التي يحب الله عَزَّوَجَلَّ أن ترفع ويذكر فيها اسمه، من الناحية الدعوية لا شك أن الإنسان استفاد من احتكاكه بالاتجاهات الإسلامية الأخرى وتقييم لعمل الجماعات الإسلامية الأخرى مثل الجماعة الإسلامية والجهاد وهذه الاتجاهات، وكان لنا بفضل الله تعالى مناقشات كثيرة معهم، وكان هناك الكثير جدًّا ممن تأثروا بهذه المناقشات، وبالفعل بدأت مراجعات يعني من أفراد منهم لطريقة تناوله للأمر، وبفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وضح فيها مدى انضباط المنهج السلفي، وبلا شك أيضًا أن الإنسان استفاد في طريقة ميزان المصالح والمفاسد، وأنه لابد من مراعاة هذا الأمر بدقة وعدم التسرع.

كنت أضرب للإخوة مثالًا ونحن في الداخل أن أمورًا حصل فيها تسرع وإعجاب بحجم العمل السلفي الذي انتشر بسرعة جدًّا، لكن كان أشبه ما يكون بنفخ بالون من

السهل جدًّا أن يثقبه أي شخص في أي وقت، ونحن لا نحتاج إلى هذا العمل الدعائي الضخم جدًّا، ولا الهيئات الإدارية الطويلة الشكل هذه التي في الحقيقة لا تثمر الفوائد المرجوة منها في ضوء عدم اكتمال الشخصية التي تقوم بالعمل في ذلك الوقت. مثل هذه الأشياء، وهي اكتمال الشخصية المسلمة المتكاملة التي هي في الحقيقة مفقودة في عامة الاتجاهات الإسلامية، هذا هو المناط الأول الذي لا بد أن نركز عليه، ونهتم بأن يكون هو هدفنا الأول، وهو وجود الشخصية المسلمة المتكاملة المستعدة والقادرة على تحقيق التعاون على البر والتقوى.

تمرد في السجن:

في المرة الأولى حينما اعتقلنا على خلفية محاولة اغتيال أبو باشا وكان من المعلوم يقينا أننا لا دخل لنا بحادثة الاغتيال؛ ولذا لم يكن تحقيق ولا سؤال ولا شيء. والله سبحانه إذا ابتلى عبده ببلاء لم يستجلبه لنفسه يسر له من أنواع اليسر والراحة والسعادة في هذا البلاء رغم الألم ما لا يخطر بباله، ولقد كانت هذه المرة في رمضان وقضينا العيد في المعتقل. أتذكر من الطرائف أننا كنا في «عنبر أ» في الدور الرابع، وكان الماء كثيرًا ما يقطع عن العنبر كله، فكان الإخوة -وعامتهم من إخوة الجماعة الإسلامية- يعترضون بكل قوة وبهتافات قوية، وذات مرة أخذوا المفتاح من الشاويش عنوة، وفتحوا كل الزنازين، ومن لم يفتح له حاول كسر الأبواب، وكانوا يحرقون الأغطية، وخرج العنبر كله خارج الزنازين -طبعًا حدث ذلك قبل المبادرة- ورفضنا نحن الخروج من زنزانتنا، وكان معنا أحد الإخوة شيخ أزهري كان ينظر من باب الزنزانة فيسمع الهتافات فيقول متهللا: «الأمة صحيت يا ولاد»، فنقول له: «تعال يا شيخ محمد انظر من الشباك الآخر المطل على الساحات المحيطة بالعنابر والأسوار والأبواب المغلقة»، فكنا نرى عربات الأمن المحملة بالجنود وهي تتحرك ناحية العنبر بكميات هائلة لفض التمرد وإدخال الإخوة إلى الزنازين، وكنت أعد عدد الأبواب التي تغلق وراءنا بعد الباب الرئيسي للسجن

فكان باب الزنزانة هو الباب رقم ١٩ فأقول له: «يا شيخ محمد لو فتحنا بابا واحدا أو اثنين فماذا سنفعل في الـ١٨ أو الـ١٧ الأخرى، هذه محاولة فاشلة».

ومع ذلك استمر التمرد حتى وصلت القوات ونادوا بالميكروفونات، بأنه إذا لم تعد المفاتيح فسيتم إطلاق النار فلم يستجب أحد والحماسة كانت وصلت غايتها، وبالفعل تم إطلاق الرصاص الخرطوشي، ففي لحظة واحدة سكت الجميع وجرى الكل إلى الزنازين وأغلقها على نفسه، ورغم أننا لم نفتح زنزانتنا، ولم نخرج منها إلا أن العقاب العام كان قد تقرر وقطع الغذاء والكهرباء بالإضافة إلى المياه. وأخذ السجن كله «علقة ساخنة بالعصا» أعقبها الدخول إلى زنازين انفرادية. وكان معي الشيخ محمد الأزهري نفسه -اثنان في الزنزانة الانفرادية- فقلت له: الأمة صحيت يا شيخ محمد؟! فقال لي: «دي نايمة وفي سابع نومة».

أما في المرة الثانية سنة ٢٠٠٢م، فكانت قضيتنا نحن، فكان فيها تحقيق، ولا شك أن أيام التحقيق التي استمرت نحو عشرين يومًا لمراجعة خمس وعشرين سنة من الدعوة كانت أطول أيام العمر؛ فإن ليل السجن وليل المرض طويل. استمر الاعتقال بعدها بالنسبة لي نحو السنة، خففه الله علينا بحسن استقبال إخواننا لنا، ثم بحسن صحبتهم، ولا شك أن إخوة الجماعة الإسلامية خصوصًا الأخ «علاء الخولي» -حفظه الله- كانوا نعم العون لنا في هذه الفترة، جزاهم الله خيرًا، وبرغم آلام هذه الفترة فقد كانت من أفضل أيام عمري، لا تفوقها إلا فترات الاعتكاف والحج والعمرة، وفيها لحظات لا نظير لها، نسأل الله أن يغفر لنا ويتقبل منا.

(مجلة الإسكندرية بتاريخ ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٩)

د. أحمد فريد يروي قصة اعتقاله

ناشط سياسي إسلامي وداعية مصري، من شيوخ السلفية في مصر والإسكندرية، ولد في يوليو ١٩٥٢م بمدينة منيا القمح. كان أبوه موظفًا في دائرة الإصلاح الزراعي فنشأ أحمد فريد في أسرة بسيطة، توفيت والدته وهو يافع فعاش مع والده وانتقل إلى السنبلاوين بمحافظة الدقهلية وأتم بها دراسته حتى الثانوية العامة ثم التحق بكلية طب المنصورة وأمضى بها السنة التمهيدية (إعدادي طب) ثم انتقل إلى الإسكندرية وحصل على بكلوريوس طب جامعة الإسكندرية. تعرف أثناء دراسته إلى إبراهيم الزعفراني أحد قياديي الإخوان المسلمين، وكوّنا معًا الجماعة الإسلامية التي كانت امتدادًا لحزب الإخوان المسلمين داخل جامعة الإسكندرية، اهتم بالعمل السياسي بعد تخرجه وتفرغ له (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

يقول الشيخ: قبل أن أتكلم عن اعتقالي الأخير في سنة ٢٠٠٢ في شهر مايو أذكر قصة اعتقالي السابق سنة ١٩٨٧ وكان ذلك في جمع عشوائي بعد محاولة اغتيال وزير الداخلية السابق أبو باشا.

وظروف هذا الاعتقال وأسبابه لا أعلم لها سببًا معينًا لأنني لم يتم استجوابي من الجهات القضائية أو الأمنية ومن حسن قضاء الله وتقديره أنني كنت قد نقلت أثاث بيتي من الظاهرية إلى شارع مسجد الهداية ببولكلي وكان أهلي وأولادي في بيت أصهاري وكنت أبيت هذه الليلة في مسجد ابن تيمية أمام المنزل الذي انتقلت منه وكان ذلك في بداية رمضان وبعد أن تسحرت فوجئت بطرق شديد على باب المسجد وطلبوا تفتيش المنزل. فقلت إن الشقة ليس فيها شيء وكانوا يتعجبون كأنني أعرف ميعاد حضورهم ورتبت أموري على ذلك ولكنه تقدير العزيز الحميد اللطيف بعباده؛ المهم نقلت إلى قسم ومكثت فيه ليلتين ثم التقيت بإخواني الشيخ ياسر برهامي وفاروق الرحماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ

في سيارة الترحيلات وكان معنا من حزب الله أفراد على رأسهم أحمد طارق رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ وكان ترحيلنا في يوم الجمعة بعد عصر الجمعة في رمضان، وفي الطريق حصل حادث مروع لسيارة النجدة التي تكون خلف سيارة الترحيلات مات فيها ستة وجرح اثنان كما ذكر، واستمرت بنا الرحلة إلى سجن الاستقبال وكانت هذه المرة الأولى التي اعتقل فيها مع الإخوة حيث كنت في السجون العسكرية وحيدًا فريدًا ويعلم الله أنني وجدت من السعادة ما لم أجده وأنا خارج للحج والعمرة. ولما وصلنا سجن الاستقبال قال لنا مأمور سجن الترحيلات: هل رأيتم الحادث؟ فقال له أحمد طارق: ماذا حدث؟ فأخبرنا، فقال له: معنا أولياء الله الصالحين.

المهم كنا في زنزانة واحدة مع الشيخ ياسر والشيخ فاروق الرحماني ومكثنا عدة أيام ثم حصل تمرد في السجن أحد إخوة الجهاد أخذ مفتاح الزنازين وفتح عدة زنازين وكنت أنا أمير الزنزانة فاستأذنوني في فتح باب الزنزانة قلت ليس هذا من منهج السلف، ما كسر الإمام أحمد باب الزنزانة ولا ضرب الحرس؛ وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية بل كانوا يصبرون حتى يجعل الله عَزَّوَجَلَّ لهم خرجًا ومخرجًا؛ المهم حصل اقتحام للسجن بعد تجهيز الإخوة وأطلقت قنابل مسيلة للدموع ثم تعرض أصحاب الزنازين التي فتحت لبلاء شديد نسأل الله العافية ونقل العنبر بأسره إلى زنازين انفرادي كل أخين في زنزانة فوقفت بين أخي ياسر برهامي وفاروق الرحماني قلت إن أفلت أحدهما فلن يفلت الآخر فقدر لي أن أسجن انفرادي مع أخي فاروق الرحماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ فكان يصلي بي التراويح وكان حسن الصوت بالقرآن وكأنه خلق للقرآن فرحمه الله رحمة واسعة.. وبعد عدة أيام انتقلنا إلى زنازين أخرى كبيرة لم تطل هذه الفترة فكانت ثمانية وثلاثين يومًا تقريبًا وكانت هذه المرة الأولى التي اعتقل فيها سياسيًّا.

والمرة الثانية منذ سنة ونصف تقريبًا مايو ٢٠٠٢م ولم تكن أيضًا هناك أسباب ظاهرة لاعتقالي وإن كانت هناك قضية ولكنني أُخلي سبيلي منها بعد شهر تقريبًا حيث اتهمت فيها بالتكفير وعدم العذر بالجهل مع أنني صنفت كتابًا فيه إثبات العذر والرد على بدعة التكفير ولم تطل إقامتي أيضًا هذه المرة بل كانت ستة أشهر وعدة أيام ولكنني انتقلت منها في سجون مختلفة أولها الاستقبال (استقبال طرة) ثم الترحيلات بالإسكندرية أمضيت في كل منها شهرًا كاملًا ثم سجن دمنهور ثم وادي النطرون فأتاحت لي هذه الانتقالات فرصة الدعوة إلى الله من ناحية كما سنه يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام تم التعرف على عدد كبير من إخوة من جماعات مختلفة من الجماعة الإسلامية، والجهاد، والتكفير، وإخوة سلفيين من بلاد يصعب الوصول إليهم، وكذا القطبيين، وحزب الله، والحمد لله كان لنا أثرًا كبيرًا عليهم، وكان الجميع يعاملوننا بالحب والتقدير؛ وكانت هذه المدة أيضًا فرصة لمراجعة القرآن والصيام والقيام وتربية الأولاد من خلف الأسوار بالخطابات فأسأل الله تعالى أن لا يحرمنا أيضًا ثواب هذه الفترة وهاأنذا أعود إلى دعوتي وأوراقي وأقلامي وأولادي، أسأل الله أن يشغلنا بطاعته وأن يوفقنا إلى أسباب رحمته وجنته.

(موقع أنا المسلم للحوار الإسلامي)

ذكريات شهر رمضان داخل زنازين المعتقل

الطعام الملوث والعزل القهري والحياة غير الآدمية.. ذكريات رمضانية محفورة في ذهن كل من وطِئت أقدامه معتقلات الرئيس المخلوع.. ومشاهد عالقة في أذهان المعتقلين خلال ٣٠ عامًا من حكم الطوارئ، شاهدة على نظام دهست أقدام ضباطه وعساكره إنسانية آلاف المصريين من أجل أن يبقى رأس «مبارك» مرفوعًا على كرسي الرئاسة، بصرف النظر عن حرمان آباء وأمهات وأبناء من أن تجمعهم طاولة إفطار واحدة.

هذا العام يأتي رمضان لأول مرة دون أن يجثم الخوف على صدور العديد من المعتقلين الذين قضوا سنوات من الوحدة خلف جدران الزنزانة، «اليوم السابع» التقت أربعة من هؤلاء المعتقلين الذين تنسموا الحرية بعد سقوط نظام مبارك، لمعرفة ذكرياتهم الرمضانية في المعتقلات.

جلس الشيخ محسن توفيق وسط أولاده على مائدة الإفطار مطمئن القلب، فعساكر أمن الدولة لن يقتحموا بابه لينتشلوه من بين أسرته كما كانوا يفعلون معه من قبل، حقيبته التي ظلت موجودة خلف باب منزله، تضم ملابسه واحتياجاته أصبحت فارغة، فقد عادت الأمور إلى نصابها من جديد، ولم يعد في حاجة لأن يكون مستعدّا طوال الوقت خوفًا من الاعتقال.

ذكريات الشيخ محسن عن رمضان داخل المعتقل لم يتبق منها إلا صور كئيبة لا تتناسب مع روحانيات الشهر الكريم على حد قوله، مؤكدًا سعى كل من حاصرته أسوار المعتقل على إضفاء أي تغيير في حياته خلال الشهر، مستغلاّ أقل الإمكانيات التي تقتصر في أغلب الوقت على اللمبة الجديدة التي كانت إدارة السجن تدخلها الزنزانة.

يقول محسن: «كان تغيير لمبة الزنزانة أول أيام رمضان هو أهم فرحة يضفيها قدوم الشهر على المعتقل، ناهيك عن توقف حملات التفتيش التي كان ضباط السجن يفاجئوننا بها كنوع من العقاب». ويتذكرها محسن بقوله «كان الضباط يأمرون جميع النزلاء بالخروج في ساحة المعتقل والجلوس على رُكَبهم رافعين أيديهم إلى أعلى، ويصعقوننا بالكهرباء، وتحوم حولنا الكلاب البوليسية، إلى جانب سكب مياه بصابون على الأرض وإجبارنا على التحرك السريع، ومنا من تنكسر رجلاه فيرمى في المستشفى، أما من يصرخ من الألم فيزداد عليه الضرب والتعذيب».

محسن أكد أن طعام الإفطار لم يكن يكفى فردًا واحدًا، ٣ أرغفة وملعقة أرز وعدس إلى جانب قطعة صغيرة من الجبن أو المربى لجميع المعتقلين في الزنزانة الواحدة، مما اضطرهم إلى إذابتها في الماء لكي تصبح كالشوربة لنغمس فيها العيش، أما وجبة السحور فكانت عبارة عن ساندويتشات هواء، يعنى فاضية، ولم تكن المياه أفضل حالًا، فهي منقطعة باستمرار، يقول محسن: «كنا لا نجد سوى مياه الجراكن المخزنة، التي لا يتعدى نصيب كل منّا رشفة واحدة منها، وحينما كنا نطلب من إدارة السجن أن يأتى أحد لإصلاح الحنفية كانوا يعذبوننا.

يواصل محسن حديثه قائلًا: «قابلت في السجن شبابًا مثل الورد، منهم محمد ضيف، الذي كان يتولى مسؤولية الاحتفال بالعيد من خلال إعداد قطع الجاتوة باستخدام بقايا الخبز والمربى، ومن خلال الحلاوة المذابة في المياه يكتب «عيد سعيد»، شاب آخر ابتكر استخدام الأستيك الأسود الموجود في حزام البنطلون للكتابة على الحائط المدهون بالرصاص.

أبشع المشاهد التي استرجعها الشيخ محسن كانت أثناء فترة التسعينيات في العنبرين «ج» و«د» بسجن طرة، الذي دخله عاريًا وسط ٢٨ معتقلًا آخرين، في زنزانة لا تتسع إلا

لـ ١٠ أفراد فقط، يقول محسن: «كانت الأجساد متهالكة، والملابس مقطعة، والأرجل حافية، والزنزانة كلها من الخرسانة، لا يوجد فيها سوى فتحة صغيرة، هي المنفذ الوحيد للتهوية، كنا ننتظر لحظة إدخال الطعام حيث نحمل البطاطين لطرد الهواء الساخن الذي كان من شدة بشاعة رائحته يجعل الحارس يجرى من أمام الباب، فمرضت أجسادنا بالدرن والجرب والالتهابات الجلدية تحت شعار «كل معتقل جربان».

ويستطرد محسن قائلًا «نظام مبارك كره الدين لأنه أحب العبودية، وأشاع الخوف من الإسلاميين لأنه كان يريد استمرار الفساد، ولو أن المجتمع ارتضى بالدولة المدنية فعلينا جميعًا أن نتوحد من أجلها، لأننا محتاجون لأن نقف على أرجلنا في الفترة القادمة من جديد».

أقدم سجين مصري:

ومن فتحة، لا يتجاوز ارتفاعها ٣٠ سم، اعتاد محمد محمود صالح، الشهير بالأسواني – أقدم سجين مصري – أن يخرج فمه مناديًا على زملائه في الزنزانات المجاورة يهنئهم بقدوم شهر رمضان، ليعود مرة أخرى في ظلام محبسه الانفرادي، وعلى خيط ضعيف من الضوء المتسلل من الفتحة الضيقة التي تعد نافذته الوحيدة على العالم، كان يحاول أن يقرأ جزءًا من المصحف الذي اقتسمه مع زملائه، في ظل منع إدارة السجن اصطحاب أي مصحف أو كتاب داخل الزنازين.

فوق كرسي متحرك عاد الأسواني في يوليو الماضي إلى منزله ليقضى مع أخته الصغيرة وأبنائها أول رمضان منذ ٣٠ عامًا قضاها متنقلًا بين المعتقلات، لم يحضر وفاة أمه، ولم يأخذ عزاء أبيه، ولا يتذكر منهما سوى مشاهد الـ ٢٣ عامًا التي عاش فيها معهما.

يتذكر الأسواني كيف قضى شهر رمضان في أولى سنوات اعتقاله قائلًا: «كانت شياطين الإنس بلا قيود، من تعذيب جسدي لا يتوقف، وحبس انفرادي دائم، ممنوع

الـكلام أو الزيارات، سياسـة التجويع هي السـائدة، كنا نفطر على رشـفة مياه، أو قطعة خبز، أو يلقون بالطعام لنا على أرض الزنزانة».

١٥ عامًا في محبسـه الانفـرادي لا يعلم أي شيء عن العـالم الخارجي، كتب خلالها الأسـواني وصيتـه؛ لأنه لم يكـن واثقًا في خروجه، تعلم فيها حسـاب سـاعة الإفطار من خلال اختفاء شعاع الشمس الخفيف الذي كان يدخل إلى الحائط، يقوم بتسخين الطعام على ضوء اللمبة، استخدمت إدارة السجن حرمان المعتقلين من صلاة التراويح لإذلالهم، دخول دورة المياه بحساب، ولا تتجاوز مرة واحدة يوميّا ولمدة دقيقة.

يسـتكمل الأسـواني «حقي مش في رعاية خاصة، وإنما في محاكمة مبارك ومعاملته بالطريقة نفسها التي عاشها آلاف المعتقلين في سجونه، وأنا مش ملاك لكي أسامح».

اعتقال بدون جريمة:

«أنت هتقعد معانا هنا لحد ما يبان لك صاحب، عشان تعرف بعد كده تقول: تارك الصلاة كافر». لم يستطع عماد محمد ٢٨ عامًا أن يحدد جريمته التي جعلت فم ضابط أمن الدولة ينطق بهذه الجملة لتصل إلى أذنيه بصحبة صفعة طرحته أرضًا.

يروي عماد مشـاهد ٣ سـنوات من الاحتجـاز بتهمة «تكفير حسـنى مبارك حاكم الدولـة»، قائـلًا: «كنـت في الفرقة الثالثـة بكلية التجـارة، وكعادات رمضـان الروحانية اتجهـت مع مجموعة مـن أصدقائي للالتزام وحضـور الدروس الدينيـة، والاعتكاف في المسجد، مكانش ليا نشاط ديني، بس كنت «ملتزم» ومربى ذقني وبصلي في الجامع».

يقول عماد: «قبضوا على ٣٠ شـخصًا منـا، حولوا ١٢ إلى النيابة، واتعملهم قضية، والباقـي اتحبسـوا من غـير أي قضية أو تهمة»، يسـتكمل عـماد كلامه قائلًا: «اسـتمرت التحقيقات لأكثر من شهرين، ذقت خلالها شتى ألوان العذاب معصوب العينين».

«أنا خرجت من السجن وكملت الجامعة واشتغلت، وحلقت ذقني خلاص، بس نفسي آخد حقي»، عماد محمد الذي استطاع أن يقف على قدميه مرة أخرى بعد هذه التجربة القاسية، يحلم الآن بأن تساعده الثورة في إعادة حقه وكرامته، بعد أن انتظر طويلًا أمام المحاكم في قضايا التعويض التي رفعها على العادلي ورجال الداخلية ولم ينظر فيها حتى اليوم.

المصدر: (اليوم السابع بتاريخ ٢٠١١/٨/١٥ تحقيق - آية نبيل - إيناس الشيخ)

التعذيب بالوكالة عن أمريكا

معتقل استرالي مصري يتهم عمرسليمان وجمال مبارك بتعذيبه بالنيابة:

٧٠ شخصًا تم تحويلهم إلى مصر، كالإمام أبو عمر (إمام مسجد مدينة ميلانو في إيطاليا) والذي تم اختطافه في فبراير من عام ٢٠٠٣م؛ حيث قامت مجموعة من رجال الاستخبارات الأمريكية بالوصول إلى (ميلانو) بدون علم الحكومة الإيطالية رسميًّا، وبالاتفاق مع رئيس الحكومة الإيطالية شخصيًّا (سيلفيو برلسكوني) ورئيس جهاز الاستخبارات الإيطالية، وقام عمر سليمان بالإيعاز إلى جهاز المخابرات المصرية بتعذيبه وانتزاع الاعترافات منه، وبعدما اكتشفت براءته طلب الأمريكان من سليمان إطلاق سراحه بعد سنوات من التعذيب.

كانبرا: قال الاسترالي ذو الأصول المصرية ممدوح حبيب الذي كان معتقلًا في جونتانامو انه سيقاضي عمر سليمان نائب الرئيس المصري المخلوع ونجله السابق جمال بسبب تعرضه للتعذيب أثناء احتجازه في مصر.

ضمن برنامج تسليم المتهمين بين مصر وأمريكا الذي عرف باسم «التعذيب بالوكالة» وبموجبه تقوم أجهزة الأمن المصري بتعذيب من ترسله إليها أمريكا من معتقلين لانتزاع الاعترافات منهم لصالح المخابرات الأمريكية.

وحسب موقع «مصريون في الكويت» قال حبيب: إنه سيتخذ الإجراءات القانونية في مصر ضد نائب الرئيس السابق عمر سليمان المسئول السابق عن جهاز المخابرات وجمال مبارك نجل الرئيس السابق حول سوء معاملته.

بعد أن تم أخذه إلى هناك تحت برنامج «التسليم الاستثنائي» المريب لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية والذي كان يتم بموجبه تعذيب المعتقلين في مصر لنزع الاعترافات منهم ليتم إعادتهم لأمريكا معترفين.

وادعى حبيب – المصري المنشأ – انه تعرض للتعذيب والضرب بعد تسليمه لمصر بعد اعتقاله في باكستان في أواخر عام ٢٠٠١ في أعقاب هجمات ١١ سبتمبر على الولايات المتحدة.

وأعلن حبيب، المتزوج والأب لأربعة أبناء، أنه عانى من الصدمات الكهربائية والحرق والحرمان من النوم وحقن المخدرات أثناء وجوده في باكستان ومصر وجونتنامو قبل أن يتم إطلاق سراحه من جونتنامو من دون تهمة في يناير ٢٠٠٥ وأنه تم تعذيبه في مصر على جهاز الطبل الكهربائي.

حيث كان يتم إيقافه على طبل مبلل وموصل بالكهرباء من أسفل والطرف الأخر متصل بجسده بحيث تكتمل الدائرة بمجرد وصول قدمه للطبل ومع قفزاته يسمع الصوت المزعج بعد أن يكون حرم من النوم لأيام.

وقال انه سيسعى للحصول على تعويضات بسبب الاعتداءات عليه، والذي قال فيه أن كلا من جمال مبارك وعمر سليمان – الذي كان رئيس جهاز الاستخبارات في البلاد لأكثر من ١٥ سنة قبل الفترة القصيرة التي قضاها في منصب نائب الرئيس – متورطين فيها.

وقال حبيب لراديو «ايه بي سي» إن عمر سليمان قام بتعذيبه مشيرًا أنه رأى وجهه لأول مرة عندما صفعه بعنف شديد وهو معصوب العينين فنزعت الغطاء ورأيت وجهه».

ودعا حبيب إلى معاقبة كلًّا من عمر سليمان وجمال مبارك بالسجن ومحاكمتهم عن تعذيبه هو والآخرين.

وقال: «هؤلاء الناس يجب أن يتعلموا درسًا كبيرًا من خلال القانون ليفهموا حجم الألم الذي يشعر به الناس عند اختطافهم وتعذيبهم بدون سبب.

فهؤلاء يسيئون استغلال السلطة ويقومون بذلك لمجرد أنهم في منصب يجعلهم يفعلوا ما يريدون».

وقام حبيب، وهو مواطن أسترالي، بتسوية دعوته ضد الحكومة الاسترالية – الذي ادعى أنها كانت متواطئة في الاعتداء عليه – في العام الماضي بعد التوصل إلى تسوية سرية خارج المحكمة.

(المصدر: موقع شبكة المعلومات العربية محيط)

تقرير سويدي يكشف دور مبارك وسليمان في تعذيب معتقلين بالوكالة:

كشف تحقيق إعلامي نشره التليفزيون السويدي عن تورط الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك، ورئيس مخابراته عمر سليمان في فضيحة تعذيب معتقلين إسلاميين بالوكالة لصالح الولايات المتحدة الأمريكية.

ويتناول التحقيق تورط الحكومة السويدية في تسليم المشتبه بهما أحمد عجيزة ومحمد الزاري إلى النظام المصري عام ٢٠٠١ ليتم تعذيبهما في مصر، وما أحدثته هذه العملية من ضجة في البرلمان السويدي.

وكشف التحقيق أن الرئيس المخلوع حسني مبارك عبَّر شخصيًّا عن شكره للحكومة السويدية على تعاونها في هذه العملية.

وأوضح التحقيق أن السلطات السويدية صورت الأمر في حينه بأنه عملية طرد من البلاد لمشتبهٍ بهما، ثم انكشف أنه تورط في عملية اختطاف دولية وذلك ضمن الفضيحة العالمية التي رافقت الحرب الأمريكية ضد ما أسموه بـ«الإرهاب» بعد أحداث ١١ سبتمبر.

وكشف البرنامج التليفزيوني عن قيام حكومة الولايات المتحدة وحكومات دول أوروبية وغير أوروبية عديدة بخرق جماعي لدساتير دولها عندما اشتركت في عمليات اختطاف مشتبه بهم وتسفيرهم بطريق غير شرعي باستخدام سري لمطارات الدول المعنية ومن ثم تعريضهم للتعذيب؛ حيث كانت مصر واحدة من أطراف هذه الفضيحة.

وأوضح التحقيق التليفزيوني السويدي أن تورط مصر في هذه الفضيحة لم يثر استغرابًا حيث إن نظام مبارك لم يكن بحاجة إلى عملية دولية لكي يمارس التعذيب فقد كان التعذيب ولعقود طويلة من الزمن حالة روتينية في السجون المصرية، ولكن الفضيحة كانت تورط ديمقراطيات عريقة كالسويد في هذه العملية.

وبحسب التحقيق، فقد أتيحت المطارات السويدية أمام طائرات وكالة المخابرات الأمريكية وهي تختطف المشتبه بهم وتتنقل بهم بين سجون البلدان، بل وقامت المخابرات السويدية نفسها ودائرة الهجرة أيضًا بدورها في اختطاف هؤلاء وفي إقرار طردهم من البلاد على جناح السرعة ليتجردوا بذلك من أي حقوق قانونية وأي حماية.

وأشار البرنامج إلى أنه عقب انتشار الفضيحة قامت لجنة الدستور في البرلمان السويدي باستجواب المسئولين؛ فدفع هؤلاء بأن الحكومة السويدية وعلى أعلى مستوى تلقت «ضمانات» من شخصية «جديرة جدًّا بالثقة» في النظام المصري بأن المتهمين لن يتعرضوا لأي تعذيب أو إساءة!

ولم تكن هذه الشخصية - كما كشف البرنامج التلفزيوني - سوى اللواء عمر سليمان رئيس المخابرات المصري وقتئذٍ، وطبعًا لم يتحقق شيء من تلك الوعود، وأفادت تقارير النشطاء بأن المعتقلَيْن تعرضا لتعذيب شديد، وعندها تدخل السفير السويدي بنفسه وطلب مقابلتهما، ورحب الجانب المصري - الذي ظل مصرًّا على نفي حصول التعذيب في سجونه - وفوجئ المعتقلان بنقلهما إلى سجن مريح حيث أتيح لهما أن يأكلا جيدًا لعدة أيام وأن يحلقا شعرهما قبل أن يمثلا بثياب نظيفة أمام السفير السويدي، وما إن انتهت المقابلة حتى أعيدا إلى زنازين التعذيب!

وكشف البرنامج إلى أن لجنة الدستور خلصت إلى انتقاد الحكومة السويدية على تصديقها وعود الحكومة المصرية، التي تبين أنها كانت وعودًا كاذبة، وكشف التحقيق أن الرئيس السابق مبارك شخصيًّا عبَّر عن شكره للحكومة السويدية على تعاونها في هذه العملية.

(المصدر: مفكرة الإسلام ٢٥ /٤/ ٢٠١٢)

جمعية المحامين... وهتك أعراض المصريين!!

المصدر ليس سريًّا، أو كلامًا شفويًّا من ثقة لا يعرف الناس، أو أوراقًا رسمية خاصة يصعب نشرها، المصدر هذه المرة مجلة أكتوبر العدد (١٨٠٩) - الاحد ٢٦ يونيو ٢٠١١ وأهم ما في المصدر (مجلة اكتوبر) أنه محسوب على النظام القديم وأحد أبواقه الممتازة!!

نشرت المجلة بالصور والأسماء والشهود والأوراق التي تكشف فضائح وجرائم مبارك وأعوانه وما فعلوه من خراب ودمار في المعتقلات والسجون... أوراقا مليئة بالأسرار وشاهدة على تلك الجرائم التي تمت ممارستها ضد الشباب والشيوخ.

يقول كاتب التقرير «عمرو فاروق» نحن أمام مسلسل درامي يصيبك بالاحباط والاكتئاب كتب سيناريو مشاهده واتقن حبكته الدرامية أشخاص لا ضمير ولا عهد لهم،

تجردوا من كل سمات وقيم الانسانية، وجسد البطولة مجموعة من قادة وابناء الجماعات الإسلامية الذين انحرفوا نحو طريق العنف وتمت معاقبتهم بالسجن أو بالاعتقال دون محاكمة.

مشاهد هذا المسلسل تكشف تفاصيل ووقائع يرويها شهود عيان من أبناء الحركة الإسلامية على رأسهم المحامي إبراهيم علي من حالات انتهاك لحقوق الإنسان وآدمية البشر داخل جدران الزنازين وبين غرف مغلقة صممت بشكل خرساني لا يسمح بدخول شعاع نور أو نسمة هواء.

هذا التعذيب لا لغرض الاعتراف والحصول على معلومات لكن بهدف الشعور بلذة إهانة وإذلال الآخرين وكسر نفوسهم، والاستمتاع بمتعة السلطة والسطوة التي يمارسونها على غيرهم، فدفعتهم نفوسهم المريضة إلى هتك أأعراض البعض وانتهاك حرمات آخرين والتجرؤ على الله ورسوله وكتابه الكريم.

التقرير فيه أسماء زعماء السجون والجلادين الكبار كاللواء مدير فرق أمن اسيوط (...) وأسماء المعتقلات سجن العقرب وأبو زعبل وفي المجلة صور تعليق الآدميين من ارجلهم كما تعلق السلخانات وإجبار الضحايا للسجود لصورة الزعيم المخلوع (مبارك) وتقرأ في العدد إرغام السجناء في موسم الحج للطواف حول صورة الرئيس المخلوع مبارك وتقبيلها وإرغامهم على ترديد لبيك مبارك لبيك أثناء الطواف على صورته، التقرير يحتوي على ثمانية مشاهد بالتفصيل أليمة احدها التعذيب بالفحشاء وهتك الأعراض وإجبار كل معتقل على اختيار اسم راقصة أو فنانة وإرتداء قميص نوم وممارسة اللواط مع الآخرين... الخ، هذا التقرير ليس جديدا لكل من يعرف تاريخ السجون في عصر مبارك وما قبله ولقد سرد الشيخ محمد الغزالي من قبل في كتابه قذائف الحق ذكرياته في

السجون وسرد أحداثا مماثلة عن التعذيب بالفحشاء وكذلك اليساري الروائي علاء الاسواني في روايته المشهورة عمارة يعقوبيان لم يغفل هتك أعراض المساجين.

أروي هذه المشاهد المرعبة لزبانية النظام البائد من الساديين المتوحشين وفي ذهني صورة بعض المحامين الكويتيين الذين سافروا إلى مصر ليتطوعوا بالدفاع عن رأس الجلادين لاقول لهم انكم ذهبتم للدفاع عن الحارس الاكبر لهاتك اعراض المصريين!!

ولكن - ولله الحمد - كان موقف جمعية المحامين الكويتيين مشرفًا لتبرئها من أولئك المحامين ولإعطائهم الصورة البديلة المشرفة في الدفاع عن الضحايا وشهداء الثورة.

إن سياسة هتك الأعراض أصبحت لعبة تتسلى بها الأنظمة ضد شعوبها، مبارك والأسد والقذافي ماهم إلا صور مكشوفة لهذه السفالة السياسية والمستور أكثر!!

(المصدر: جريدة الرأي العدد ١١٧٧٦ - مقالة للأستاذ محمد العوضي ٢٠١١/٠٩/٢٨)

obeikandl.com

مبارك حرم المعتقلين السياسيين
من الطعام والهواء والماء والدواء

كيف عاش المعتقلون السياسيون في الزنازين؟؟

للإجابة عن هذا السؤال نريد أن نتكلم عن الجانب البيولوجي من المعيشة إن جاز التعبير كالطعام والنوم التنفس وما يتعلق بذلك.

وتأتي أهمية إعادة إعداد الطعام من كون مطبخ السجن لا يحسن إعداد الطعام المقدم من السجن إلى المعتقلين والمساجين سواء السياسيين منهم أو الجنائيين وذلك لسوء الإدارة والإهمال المتعمد وإهدار الموارد وأيضًا بسبب الاعتماد على مساجين جنائيين لإعداد الطعام وهم دائمًا غير مدربين وغير مهرة وغالبًا لا يراعون قواعد الإتقان ولا النظافة، فيحتم ذلك كله إعادة إعداد الطعام بالزنزانة فيما كنا نطلق عليه تحسين الطعام.

النظام المالي المتعلق بمقررات الطعام جعلها في أغلب الأحيان أقل في كميتها من الكمية اللازمة لسد رمق المعتقل فأوجب ذلك إدخال تعديلات على الطعام ليزيد حجمه فيما كنا نطلق عليه تعديل الطعام.

أما عملية التحسين المذكورة فكانت تشمل تسخين الطعام بعد تنظيفه وأحيانًا يتم غسله مثل أن يكون بطاطس أو باذنجان أو كوسة ويكون عادة قطع كبيرة مطبوخة بقشرها فنقوم بانتشالها من مرقتها ونقشرها ونغسلها ونقطعها إلى قطع أصغر ثم نعمل لها مرقة أخرى، ونلقى بمرقتها الأصلية في دورة المياه.

أما عملية التعديل فتكون بإضافة أشياء لهذا الطعام كي يزيد، وهذا يختلف من وقت لآخر حسب الظروف، فعندما تكون الأوضاع ميسورة من حيث حُسن المعاملة والسماح بدخول أطعمة من خارج السجن على نفقتنا فإن عملية التعديل لزيادة الطعام

تتخـذ شـكل إضافة طعام من نفـس جنس الطعام الموجود أو من نوع مناسـب له كما إن التحسـين نفسـه يتم بإضافة أشـياء ذات قيمة للطعام مثل التوابل وبعض اللحم أو نحو ذلك أما عندما تكون الأوضاع غير مناسبة أي عندما يوجد منع أو تضييق في مجال دخول الطعام من خارج السجن فإن عملية التحسين والتعديل تتخذ شكلًا أكثر تواضعًا لدرجة أن العمليتين كانتا في كثير من الأوقات تقتصران على إستخدام الماء في الغسل والتنظيف أو النقع في الماء لتقليل الملوحة الزائدة الموجودة بالطعام وبإلقاء هذا الماء نكون قد حسّنا الطعام ثم نأتي لعملية التعديل كي نزيد كمية الطعام وكانت قاصرة أيضًا على إضافة الماء فمثلًا بالنسـبة للجبن نذيب قطعة جبن وزنها يـتراوح بين ٥٠ و١٠٠ جرام في كمية ماء لنصنـع منهـا ماءًا أبيضًا كالشرش يملأ ثلاث أو أربـع أطباق ثم يقدم كل طبق لمجموعة من المعتقلين يتراوح عددهم بين أربعة وسبعة ليأكلوه بالخبز.

ونفس الشيء كان يجري بشأن الحلاوة الطحينية بنفس الطريقة حيث يتم إذابتها في الماء بنفس المقادير المذكورة وكذا الفول والعجوة والعدس.

وللقارئ أن يتعجب من ذلك ويتسائل كيف عشنا سنوات طويلة على هذا الطعام القليل الحقير لأنني أنا نفسي أتسائل عندما أتذكر هذه الأيام هذا السؤال كيف عشنا بهذه الطريقة وكيف تحملنا هذه الأوضاع؟ ولكن رحمة الله وسعت كل شيء، ولو لم أعش مثل هذه السنين لما استطعت أن أتخيل وقوع مثل هذه الأحداث بمثل هذه الطريقة.

لكـن هذا لا يعنى أننـا كنا نتمتع بصحة جيدة بل بالعكس، فأنا شـخصيًّا آخر مرة صمت رمضان في هذه السـنين كنت راقدًا طـول النهار ولا أكاد أقوم إلا للصلاة وقلت لنفسي: لو لم تتغير الظروف فلن أستطيع صيام رمضان المقبل بل ربما مت قبل هذا بسبب الجوع الذي كنا نعيشه.

وفي غير رمضان لم أكن أستطيع استجماع قدراتي العقلية لمراجعة القرآن من الذاكرة أو بعض متون كتب العلم أو الأحاديث إلا بعيد استيقاظي من نوم استغرق عدة ساعات ويكون استجماع هذا التركيز العقلي قاصرًا على ساعة واحدة ثم أحتاج بعدها للنوم مرة أخرى لعدة ساعات وهكذا.

وأيًّا كانت حالتنا الصحية فقد كانت الحياة تسير وكنا ننظم حياتنا وفقًا لظروفنا في محاولات متفائلة جدًّا لتحسين هذه الحياة.

ومن هذه النظم التي سارت عليها حياتنا في المعتقلات أن يتولى إعداد الطعام وتقديمه شخص له معرفة ما في هذا المجال وأن يستمر في عمله هذا يوميًّا إلى ما شاء الله فلا ينعزل إلا إذا اختار أفراد الزنزانة عزله أو اختار هو أن ينعزل أو تم نقله إلى زنزانة أخرى، وكان هذا الدور مستقرًّا لحد كبير لقلة من لديه القدرة والصبر وطاقة العمل اللازمة للقيام بهذا الدور لأنه يقوم بخدمة الناس كل يوم في هذا المجال كما أنه قد يتعرض لانتقادات أو إقتراحات تفوق طاقة الكثيريين على التحمل فضلًا عن أنه يعمل كل يوم لعدة ساعات يتعطل فيها عن تلاوة القرآن أو تلقي العلم ونحو ذلك من الأنشطة التي كانت سائدة في الزنازين ويسمى صاحب هذا الدور أو هذه الوظيفة باسم مسئول المطبخ، كما يقوم بمساعدته شخص يتغير كل يوم وهذا الدور المساعد يسمى صاحبه «نبطشي» ويلاحظ اختلاف هذه التسمية بين المعتقلين والمسجونين السياسيين من جهة وبين المعتقلين والمسجونين الجنائين من جهة أخرى حيث أن معناها لدى السياسيين هو ما ذكرناه، أما معناها لدى الجنائين فهو مرادف لمعنى رئيس الزنزانة وهو عند الجنائيين عادة ما تعينه إدارة السجن أو تحديدًا رئيس مباحث السجن كى يعمل على إلزام الزنزانة بتعليمات ضابط المباحث ويكون في العادة جنائي ذو عتو في الإجرام أو كما

يقال في العامية المصرية «فتوة» حتى يتسنى له السيطرة على عامة المساجين وهذا كله غير موجود بهذه الصورة بالنسبة للمعتقلين والمسجونين السياسيين.

وبالإضافة لذلك فقد كان المعتقلون السياسيون الإسلاميون يختارون شخصًا فيما بينهم ليكون بمثابة رئيس للزنزانة وكان هذا الرئيس يجرى إنتخابه بالأغلبية في حالة ما إذا كان نزلاء الزنزانة من غير أعضاء الجماعة الإسلامية أو كان أعضاء الجماعة الإسلامية قلة من بين نزلاء الزنزانة أما إن كان أعضاء الجماعة الإسلامية أغلبية فإنهم يعينون رئيس الزنزانة بأمر مباشر يصدره رئيس الجماعة الإسلامية في العنبر، ومسئول الجماعة الإسلامية بالعنبر يكون معينًا من قبل مسئول الجماعة الإسلامية بالسجن والذي يكون معينا بدوره من قبل القادة التاريخيين للجماعة الإسلامية وهم الذين يطلق هم مجلس شورى الجماعة الإسلامية وهؤلاء لهم حق القيادة المطلق بسبب تأسيس وإدارة الجماعة الإسلامية.

ويسمى رئيس الزنزانة دائمًا مسئول الزنزانة ويتولى مسئول الزنزانة إن كان معينًا من الجماعة الإسلامية تنفيذ قرارات مسئول العنبر وإدارة شئون الزنزانة وفقها بينما إن كان مسئول الزنزانة قد اختير بالأغلبية فإنه يتولى إدارة شئون الزنزانة بتنفيذ ما اتفق عليه أغلبية نزلاء الزنزانة بشأن سائر أمور المعيشة من الأكل والشرب والنوم والاستحمام وغسل الملابس ونحو ذلك كمواعيد إطفاء النور وإضفاء الهدوء والدروس العلمية إن وجدت والصلاة سواء الصلواة الخمس أو قيام الليل وغير ذلك.

وكان من أهم مهام مسئول الزنزانة (رئيس الزنزانة) الإشراف على مسئول المطبخ وعلى قيامه بمهامه بشكل جيد وفعال وكذا الإشراف على النبطشية (أي مساعد مسئول المطبخ) وكان هذا النبطشى بجانب مساعدته لمسئول المطبخ فإنه يقوم ببعض أعمال النظافة بالزنزانة مثل كنس الزنزانة وغسل أرضية الركن الداخلي للزنزانة وهو الذي

يتـم تجهيـز الطعام به وخـزن بقايا الطعام إن وجـدت بقايا كما يغسـل الأوعية (الأطباق والعلب) إن وجدت أوعية أصلًا.

وكان كثير من المعتقلين يتسـابقون للقيام بهذا الـدور تطوعا في غير دورهم، وكان يوجد سباق في حجز أسابيع وأيام شهر رمضان من قبل دخول الشهر للقيام بهذا الدور تطوعا كأنه صدقة في رمضان، وكانوا نشـطاء في هذا، ومع ذلك وبجانبه كانوا ينشـطون في تلاوة القرآن جدًّا في رمضان وأذكر أحد الأخوة اسـمه (محمد ع) أصر أن يقوم بدور النبطـشي آخر ثلاثة أسـابيع في رمضـان، وكان بجانب ذلك يتلو أكثـر من ١٥ جزءا من القرآن يوميًّا. كما أذكر أن أحد الأخوة واسـمه (جلال ع) كان مسـئولا للمطبخ في زنزانة وتطوع أن يقوم بجانب ذلك بدور النبطشـى طوال شـهر رمضان بشأن السحور، فكان ينام بعيد صلاة العشـاء مباشرة ثم يستيقظ بعد الحادية عشرة مساءا فيصلى قيام الليل إلى نحو الثانية صباحا، ثم يقوم يجهز السحور ثم يبقظنا جميعًا حتى نتسحر قبيل أذان الفجر، وذلك دون مسـاعدة من أحد بعكس ما يقتضيه نظام الزنازين حسـبما ذكرنا من مساعدة النبطشى له في عمله في الطعام.

ورغـم أن نظام النبطشـية كان نظامًـا ثابتًا ودوريًّا إلا إنه كان له اسـتثناءات عديدة ذات دوافـع إنسـانية، فمـن ذلك أنه جرى العـرف في أكثر الزنازيـن أن من تعدى عمره أربعين عامًا فإنه لا يقوم بدور النبطشية وهذا في أول الاعتقال ولكن بعد ذلك مع طول المدة وتقدم الجميع في العمر بدأ يتلاشى هذا الاستثناء.

كـما كان يعفى منها المرضى المزمنون نهائيًّا. أما أصحاب الأمراض العرضية فكانوا يعفون منها إلى أن يتم شفاؤهم نهائيًّا.

وعندمـا عملـت إضرابات عن الطعام لمـدة طويلة كان الأخـوة المعتقلون معي في الزنزانة يغسـلون لي ملابسي ويسـاعدونني عـلى دخول الحمام ويحملونني مسـافة طويلة

إلى مبنى مستشفى السجن أو مبنى إدارة السجن عندما كانت الإدارة تفاوضني لفك الإضراب، وكنت أضربت عن الطعام إضرابات عدة بلغ أحدها خمسين يومًا وثان ثلاثين يومًا وآخر ٢٥ يومًا.

وعندما كنت امتحن في العام الماضي أصر أحد المعتقلين على تولي إعداد الطعام لي وغسل الأطباق لي حتى أنتهي من الامتحان لاسيما أني وقتها كنت مريضًا بالانزلاق الغضروفي، وحالتي صعبة جدًّا لعدم توافر أي علاج أو رعاية صحية بالمستشفى التي كنت مقيمًا بها (مستشفى ليمان طرة) وكان هذا الأخ المعتقل الذي أصر على ذلك يكبرني بأكثر من عشر سنوات. ولم يكن التكافل بالمال أو بالجهد بين المعتقلين في أوقات التضييق والشدة فقط بل استمر عندما تحسنت المعاملة بالسجون، فعندما سمحوا بدخول الثلاجات وبعض الأجهزة الأخرى (كالتلفزيون والراديو والغسالة الكهربائية) وكان طبعًا أهم هذه الأجهزة الثلاجة حيث يمكننا فيها خزن الطعام من يوم الزيارة لعدة أيام أخرى لا تأتي فيها زيارة الأسرة، وحينئذ تبرع عدد من أثرياء المعتقلين وأحضروا على نفقتهم الخاصة عددًا من الثلاجات الضخمة بحيث تكفي كل ثلاجة عددًا من الزنازين وقد أحضروا أعدادًا تكفي السجن كله وحدث ذلك أمامي في معظم السجون، كما قام البعض بالتبرع بمجهوده بجانب التبرع بماله في ذلك الشأن وعلى سبيل المثال فقد كان هناك طبيبًا ثريًّا بسجن استقبال لم يكتف بإحضار عدة ثلاجات على نفقته بل بعد ذلك عندما جاء فصل الصيف اشترى عدة ثلاجات أخرى (غير الأولى التي سبق واشتراها) وخصصها لعمل ثلج في أكياس وقام بتوزيع أكياس الثلج هذه بنفسه على جميع الزنازين بالتساوي، وكان يعد أكياس الماء بنفسه ويضعها في الثلاجات، وقد تطوع اثنان آخران لمساعدته في ذلك. ومن الجوانب التي جرى فيها التعاون بين المعتقلين في كل الزنازين جانب النوم حيث أن الغرفة لا تتسع إلا لخمسة أو ستة على أقصى تقدير لكن وصل

تعداد نزلاء كل منها ما بين ٢٠ إلى ٦٠ نزيلًا، ولم يكن العدد يقل في أحسن الأحوال عن ١٥، ولزم لذلك التعاون في ترتيب أوضاع النوم، فكنا كلما قل العدد إلى ثلاثين أو أقل كلما أمكن النوم متلاصقين لكن مع اختلاف اتجاه الرؤس وكان يتحتم حينئذ توزيع وتحديد أماكن النوم بمعنى تحديد المساحة المسموح لكل شخص أن يشغلها ولا يتعداها بأي حال وكان يتم قياس ذلك بالسنتيمترات (غالبًا بالأصابع أو بخيط أو نحو ذلك).

وهناك أماكن تؤذى النائم فيها مثل بجانب وأمام دورة المياه بسبب الروائح الكريهة المنبعثة منها ومثل خلف الباب بسبب البرد القارس المنبعث من حول حلق الباب في الشتاء.

ولكنها أمور نسبية وكان هناك دائمًا من المعتقلين من يتطوع للنوم في الأماكن الغير مرغوب فيها أو التي بها أذى كي يفسح لبقية إخوانه الأماكن الأخرى.

ونظرا لأن كل الزنازين بكل السجون تم تصميمها بشكل جعلها سيئة التهوية بحيث أن قليل من الهواء هو الذي يتسرب إليها عبر فتحات صغيرة بالقرب من السقف (وتسمى زورًا شبابيك) فإننا عانينا كثيرًا من الحر في كل السجون ابتكر المعتقلون فكرة التهوية ببطانية، في أول الأمر كان اثنان من المعتقلين يمسكان ببطانية مطبقة نصفين ويحركانها جيئة وذهابًا لتحدث تيارًا من الهواء ونظرًا لأن ذلك يتطلب جهد إثنين فقد تم تطوير الأمر بربط طرف البطانية بفتحة الشباك بينما يقوم معتقل واحد بالإمساك بالطرف الباقي ويهزها جيئة وذهابًا للتهوية، وجرى ذلك في كل السجون بالصيف وجرى إجراء تعديلات مختلفة على طريقة ربطها وهزها حتى يكون هزها أسهل وأقل جهدًا.

وأذكر عندما كنت في سجن الوادي الجديد أن الحر هناك كان لا يطاق وكان معنا أخ معتقل اسمه نبيل فتحي فكان يتطوع يوميًّا بالتهوية عبر البطانية بين الظهر والعصر بسبب شدة الحر وبسبب كسل بعض الناس عن التهوية في هذا الوقت. وذات مرة

استيقظت في نصف الليل فوجدت نبيل مستمر في التهوية والناس كلها نائمة فقلت له: يا نبيل لماذا لا تنام؟ قال لي: الجو حار جدًّا ولو تركت التهوية فإن الإخوة سيستيقظوا ولن يمكنهم النوم بسبب الحر فسأظل في التهوية حتى يأخذوا راحتهم من النوم.

وفعلًا كان هذا اليوم شديد.

ونبيل هذا مازال معتقلًا حتى الآن منذ ١٥ عامًا فرَّج الله كربه.

(مقال للأستاذ عبد المنعم منيب – جريدة الدستور١٢ ديسمبر ٢٠٠٧)

obeikandl.com

ذكريات د. عصام العريان مع جهاز أمن الدولة

سبحان المعز المذل.. سبحان ذي القوة والجبروت.. سبحان الذي يمهل ولا يهمل.. أخيرًا تنفس المصريون الصعداء.. وبدأ نسيم الحرية يتدفق إلى صدورهم.. دمعت عيون من الفرحة، ودمعت عيون من الأسى على السنين التي مرت تحت إرهاب ذلك الجهاز الرهيب الذي بث الرعب في قلوب ملايين المصريين.

والحقيقة التي لا يمكن إغفالها أن ذلك الجهاز المرعب تدخل في حياة كل المصريين وفي كل قطاعات الدولة ولم يكن ضحاياه من الإسلاميين فقط كما يتصور البعض، فالثأر بينه وبين كل مصري ومصرية، بل أكاد أقول إن الفرحة عمت عموم رجال الشرطة من خارج ذلك الجهاز الذين كان زملاؤهم من رتبٍ أدني بكثير يتعالون عليهم ويتعاملون معهم باستخفاف وازدراء.. حساب هؤلاء الضباط علي جرائمهم الخطيرة يجب أن يبدأ فورا، فلا يكفي حل الجهاز الجرائم التي لا تسقط بالتقادم وتلك التي أغلقت ملفاتها دون استكمال.

القتل خارج القانون، التعذيب حتى الموت، إحداث عاهات مستديمة بالأفراد، المادية والوحشية في المعاملة... إلخ.

ملفات بعض هذه القضايا موجود بالفعل وهناك بلاغات سيتم تقديمها، والمحاكمة يجب أن تكون أمام القضاء العادي وبعدالة كاملة حتى لا يظلم أحد ولا يفلت أحد من العقاب.

الحقيقة الكاملة يجب أن تظهر للعيان قبل المصالحة مع ذلك الجهاز الذي تسبب في تشويه صورة الشرطة المصرية.. تجارب الشعوب والدول من قبلنا يمكن الاستفادة منها مثل «جنوب أفريقيا" المهم عدم تكرار ما حدث في التاريخ المصري الحديث خلال ستين

سنة من القسم المخصوص إلى البوليس السياسي إلى المباحث العامة إلى جهاز أمن الدولة مارس ضباط الأمن السياسي قمعًا للمعارضين السياسيين، وتنصتوا على كل مكالماتنا وتجسسوا على بيوتنا وراقبوا تحركاتنا، بل عدوا علينا أنفاسنا.. كان أخي د. سناء عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتلذذ بإرهاق مراقبين من ضباط أمن الدولة، بينما كنت لا ألقي بالًا لهم، وأتصرف بكل حرية لأني كنت وما زلت أعتقد أن تصرفات السياسي في العلن يجب أن تتفق مع حركاته الخاصة، وأنه وإن كانت لديه خصوصيات ويتحلى بالكتمان إلا أن ذلك لا يجب أن يقيد حركته ونشاطه أبدًا، وأتصور أن ملفي في «أمن الدولة» الحقيقي وليس الذي تسربت منه أوراق من أضخم الملفات لأنه بدأ منذ أربعين سنة يوم دخلت ساحة النشاط الطلابي ثم النقابي ثم السياسي ثم الفكري، حيث انتهت المراقبة بأسئلة حول أفكاري حتى في تحقيقات نيابة أمن الدولة في السنوات الأخيرة.. تراكمت لديّ ذكريات أصبحت ملكًا للجميع اليوم بعد أن كانت مثار حديث بيني وبين أسرتي أو بيني وبين إخواني.. أول سجن لي -وهذا للعجب- كان في مقر المجموعة (٧٥) بالمخابرات العامة بسبب مذكرة من أمن الدولة عندما داهموا البيت الذي أقيم فيه لتفتيش شقة صهري صلاح الدين فضل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فدخلوا شقتي المجاورة للبحث عنه، وأنا زوج شقيقته، فوجدوا أوراقًا أعد منها نشرة صحفية وفكرية لطلاب الجامعات سميتها «أضواء» فكأنهم وجدوا كنزًا على غير ترتيب، كنت وقتها مجندًا بالقوات المسلحة، سلاح الخدمات الطبية، في مستشفى للتأهيل بالهرم.

أرادوا القبض عليَّ واصطحابي فرفضت لأني مجند، وكانت هناك مشكلة وقتها بين الجيش والشرطة... بعد أيام قليلة تم استدعائي للمخابرات التي سجنتني عدة أيام ثم طلبني من سجني نائب رئيس المخابرات الذي حدثني عن الدور الوطني للمخابرات والجيش، ثم خرجت وأنا أفكر في مصير مدة تجنيدي التي قاربت على الانتهاء، فقد

قضيت سنة تقريبًا، أخبرني بعدها مقدم المخابرات الذي اصطحبني إلى اللقاء أن خدمتي قد أنهيت بالجيش، وهذا ما حدث بالفعل بعد شهر تقريبًا مع تقدير «خدمة حسنة» كان تقرير أمن الدولة هو السبب في إنهاء خدمة العلم الوطنية.

بعد سنة ونصف السنة تقريبًا كانت المداهمة الثانية لنفس منزلي ولكن بعد منتصف ليل ٣ سبتمبر ١٩٨١ (الاثنين).

ومن الدار إلى التحفظ في مكان أمين سجن الاستقبال بطرة مع ٥٣٦ من رموز السياسة والدين والفكر والنقابات في مصر ازداد عددهم بعد مظاهرات غاضبة يوم الجمعة إلى ١٥٣١ فأصبحوا خليطا عجيبا يستحق أن تروي قصتها علي مهل بعد ذلك.. قضيت سنة كاملة من سبتمبر ١٩٨١ إلى نهاية أغسطس ١٩٨٢ مرت خلالها أحداث جسام أبرزها اغتيال الرئيس السادات في ٦ أكتوبر ١٩٨١م.. بدأت تجربة جديدة مع «أمن الدولة» كانت مريرة لأنها كانت تعذيبًا وحشيًّا في التحقيقات الخاصة باغتيال السادات.. تردد اسمي كثيرًا في التحقيقات الأولية، بسبب نشاطي الواسع في الجامعات المصرية من ١٩٧١ - ١٩٨١، وبسبب نشاطي السياسي والعام بعد تخرجي في دعم الجهاد الأفغاني الذي بدأ عام ١٩٧٩ ضد الاحتلال السوفييتي لأفغانستان وبداية الكتابة في المجلات والصحف ورحلاتي المتكررة، دعويا وسياسيا من الإسكندرية إلى أسوان وكانت معارفي عديدة من كل التيارات خاصة شباب الجماعة الإسلامية بالمنيا وأسيوط.. كنا في سجن استقبال طرة تتطور بنا الأحوال تدريجيا حتى اتفقنا علي نظام معقول للتريض، واتفقنا على تصور ليوم وقفة عرفات وعيد الأضحى مع العقيد محسن السرساوي، فإذا بنا قبيل ظهر يوم عرفات نفاجأ بإغلاق السجن نهارا ومنع التريض ولم ندر ماذا حدث لأننا لم يكن لنا أي اتصال بالعالم الخارجي سوى الجرائد القومية التي كانت إدارة السجن تحضر منها نسخة واحدة إلى زنزانتنا ١/ ٢.. ليلا تم القبض على مجموعات من الشباب

عقب الاغتيال، وتم اقتياد بعضهم إلى سجن الاستقبال بطرة، وأودعوا في عنبر التأديب، وهناك صرخ أحدهم: لقد قتل السادات.

هاج السجن وتم كسر عدد من أبواب الزنازين، ولم تتم إعادة الهدوء إلا بعد تعب، وتم إحضار راديو ترانزستور إلى زنزانتنا لمتابعة الأحداث، وكنت أقوم بعد قراءة الجرائد وسماع الأخبار من لندن والبرنامج العام المصري بقراءة نشرة أخبار لمدة ١٠-١٢ دقيقة مرتين أو ثلاث يوميًّا، وتم إغلاق السجن تمامًا لا تريض ولا فسح.. في يوم ١٦/ ١٠ تم النداء على مجموعة بالاسم أذكر منهم: عصام العريان، حلمي الجزار، أحمد عمر، عبد الحليم مسلم، مجدي وردة، وتم اقتيادنا إلى عنبر التأديب، وبدأت مرحلة جديدة من علاقتي مع أمن الدولة عنوانها التعذيب البشع في عنبر تأديب سجن الاستقبال لعدة أيام ثم أسبوعين تقريبًا في سجن المرج ثم أكثر من شهر في سجن القلعة، كله كان للوصول إلى الحقيقة بشأن علاقتي والإخوان بحادث اغتيال السادات ومدى الارتباط بيني شخصيا مع تنظيمات عديدة ظهرت للعيان بعد عمليات القبض العشوائية أو التي تداعت بسبب التحقيقات والتعذيب.

كانت بداية التعذيب بالصفع والركل والإهانات البشعة لأن سجن الاستقبال لم يكن مهيأ لممارسة تعذيب منهجي، ولأن جهاز أمن الدولة كان توقف عن ممارسة التعذيب لبضع شهور أو سنوات، مما أدى إلى تعليق المسئولية علي اللواء عليوة زاهر رئيس الجهاز في ذلك الوقت وتمت إقالته، وتولى اللواء حسن أبو باشا مسئولية الجهاز بعد أن قد أُبعد عنه.. كانت أعيننا يتم عصبها وأيدينا يتم تكتيفها ونقاد مثل السوائم مع الشتم والضرب والركل إلى حجرات التعذيب، وكانت الأسئلة تدور حول علاقتي بالشباب في أسيوط والمنيا، وكذلك يتردد اسم عبود الزمر لأنه من ناهيا، بلدي.. لم تمر

سوي أيام قليلة حتى تم اقتيادنا إلى جهة لم نعلم بها إلا بعد وصولنا وكانت سجن المرج شمال القاهرة.. وهناك كان التعذيب على صورة أخرى.

لم أمكث إلا ليلة واحدة وتم النداء علي صباح اليوم التالي للانتقال إلى سجن القلعة بكل ما يحمله من تاريخ في التعذيب والاعتقالات وكانت ثلاثة أسابيع عصيبة.

لم يكن أول تهديد لي من قبل جهاز أمن الدولة مقصودا، فقد حضروا لمداهمة منزل صهري فإذا بهم يدخلون شقتي خطأ وأثار ريبتهم قيام زوجتي بنزع كوبسات الكهرباء فقاموا بالتفتيش وأخطروا المخابرات العسكرية التي استدعتني من وحدتي العسكرية لأمكث بضعة أيام ثم يتم تسريحي قبل شهرين من إنهاء خدمة العلم.

أما مواجهتهم بالسجن فكانت مع التحفظ والاعتقال ضمن السياسيين والمفكرين عام ١٩٨١م (سبتمبر الشهيرة) وكان التعذيب بداية جديدة للتعرف على نمط التعامل الرئيسي في الجهاز العتيق الذي تحول من القسم المخصوص إلى القلم السياسي إلى المباحث العامة إلى مباحث أمن الدولة والذي تحوّل أخيرًا إلى «الأمن الوطني».

تغيرت الأسماء ولم تتغير سياسة الجهاز الذي ظل يواظب على حماية كافة أنظمة الحكم كافة من إسماعيل صدقي إلى إبراهيم عبد الهادي إلى عبد الناصر إلى السادات ثم أخيرا مبارك، والحبل على الجرار.

مازالت شكوك المواطنين في بقاء الجهاز باسم جديد تتزايد، خاصة في مسائل بسيطة مثل المنع من السفر وترقب وصول المعارضين بالمطار وهذا ما حدث معي شخصيا عند أول سفر لي إلى السودان لحضور مؤتمر مؤسسة القدس الدولية الثامن، وتكرر مع آخرين.

يـوم ١٧ أكتوبر أو ١٦/ ١٠/ ١٩٨١م وبعد شـهر ونصف من اعتقـالي تم اقتيادنا كمجموعة منتقاة وشحننا إلى سجن المرج شمال القاهرة.

دخلنا السـجن معصوبي الأعين وليس معنا أي حقائب أو ملابس إضافية وتزامن ذلـك مع الخريف: خريـف الغضب، فورًا تم اقتيادنا إلى عنـبر التجربة أو التأديب الذي كان يقطنـه قبلنـا القساوسـة المسـيحيون الذين فصلهـم النظام عن المسـلمين تمامًا حتى المفكرين المسيحيين تم عزلهم أيضًا معهم.

كان هنـاك نزلاء علي العنبر قبلنا، وسـألت السـجان فور إغلاق بـاب الزنزانة عن اتجاه القبلة للصلاة، وجاءني الرد جافًا قاسـيًا: كلها قبلة. كانت زنزانة قذرة ليس بها أي فرش أو أدوات وملأى بالحشرات ويعشش فيها البعوض.

لم يطـل نومـي، بل لعـلي لم أنم، ووقفت أراقب مـن شراعة الزنزانـة، فإذا بي ألحظ وجهـا مألوفا لدي وعليه آثـار التعذيب، ويقتاد معصوب العينـين مع الضرب والإهانة إلى خارج العنبر: كان الأخ كمال حبيب.. كنت تعرفت عليه لأنه يسكن بمنطقة الطالبية أثناء دراسته الجامعية، وكان مغتربًا من خارج القاهرة، ويصلي معنا في بعض مساجدها، ولم أكـن أعـرف عنه إلا اتجاهه السـلفي.. كانت التيارات الإسـلامية في الجامعة المصرية في السـبعينيات موزعة بين الإخوان المسلمين، والتيار العنيف في أسيوط وبعض الأفراد السلفيين متفرقين في كليات وجامعات، بتنظيم في الإسكندرية «المدرسة السلفية» وكان للأزهـر وضع خاص، وكان الجميع يسـتخدم مظلة «الجماعة الإسـلامية» ولم يتم التمايز إلا في أواخـر الثمانينيـات بسـنن لصق العنف باسـم الجماعـة الإسـلامية واختار طلاب الإخوان اسـم «الصوت الإسـلامي» أو «التيار الإسـلامي» قبل إعلان الهوية الإخوانية عقـب انتخاب ٢٠٠٥م كانـت مفاجأة ثقيلة العيار، واكتشـفت أن هناك خريطة للعمل السـري للتيـارات الإسـلامية تعرفت على بعضها عنـد ترحيلي يـوم ٣١/ ١٠/ ١٩٨١م

لقضاء فترة أخرى في سجن الاستقبال وحدي دون بقية المجموعة مع آخرين قدموا من سجون أخرى أشهرها ليمان أبو زعبل، حيث أخبرني أحد الشباب أنه من تنظيم صغير للدكتور أيمن الظواهري، وكانت مفاجأة أخرى حيث أن التحقيق معه كان حول سلاح يخبأه الظواهري في عيادته بالمعادي، وآخر أبلغني أنه من تنظيم نبيل البرعي، وثالث لنبيل نعيم.... إلخ، كانت مفرخة تنظيمات من ١٩٧٤ إلى ١٩٨٤م كان الشباب يعرفني ولذلك لم يتردد في إخباري بمعلومات اضطر إلى الإفصاح عنها تحت التعذيب البشع.

بدأ التحقيق معنا، كلٍ على انفراد، حلمي الجزار، وأحمد عمر مسلم، ومجدي وردة في حجرات الإدارة عند مدخل السجن، ليلا حتى بعد انبلاج الفجر.

كانت صور التعذيب بدائية، ضرب وتعليق علي أبواب الحجرات من الكتف وضرب بالفلكة، وكهرباء في أماكن حساسة.... إلخ.

تركز التعذيب للحصول علي معلومات عن أمرين أساسيين:

الأول- مشترك بيننا جميعًا عن طبيعة تشكيل الجماعة الإسلامية بجامعة القاهرة، وصلاتها بجامعات مصر كلها، خاصة جامعة أسيوط والمنيا، وكان نما إلى علمنا ما حدث من مجزرة بشعة في مديرية أمن أسيوط وبعض أقسام الشرطة، والصلة بين الجماعة الإسلامية كجناح طلابي لجماعة الإخوان، وبين جماعة الإخوان نفسها ومرشدها العام عمر التلمساني، وهل للإخوان أي صلة باغتيال السادات وأحداث العنف.

الثاني- كان معي شخصيًّا حول علاقتي بالعقيد عبود الزمر، ضابط المخابرات الأبرز الذي ظهر اسمه قبل اغتيال السادات عندما هددّه على الهواء في خطبة من خطبه المتوترة.

كان عبود تطوع من تلقاء نفسه بزيارة إلى المقدم «حسين أبو جبل» الذي حقق معي في المخابرات أثناء خدمتي العسكرية ليتوسط للإفراج عني أو حسن معاملتي وعندما

خرجت وعلمت بذلك طلبت منه أن يقول: إذا سُئِل عن ذلك أن أخي وهو زميل دراسة لـه طلب منه الوساطة، وألا يتحدث عن اتجاهاته الإسلامية، وكان رده أنه معروف في أوساط زملائه بالتدين والحماسة الشديدة إلى حد إطلاق لقب «آية الله طالقاني» عليه.. مكثنا في المرج أسبوعين تقريبًا وعلمت أن أحد الأطباء نقل إلى الإخوان الذين لم يكن تم إلقاء القبض عليهم بأننا يتم تعذيبنا في سجن المرج، وأنه حاول إثبات ذلك في الدفاتر ولم يتمكن.

وقد ترتب على ذلك أن استدعاني بعد ٤ شهور اللواء فؤاد علام إلى مكتبه بعد شكوى قدمها المرحوم عمر التلمساني المرشد العام عند خروجه من المعتقل بشأن تعذيبي البشع وكان تعليقه السريع: أنت أمامي كويس، وليس بك أية آثار تعذيب فرددت سريعا أتريد أن تظل الآثار على جسدي بعد ٤ شهور.

ومن الطرائف أن الأخوة في حجرة ١١/ ٣ في القسم السياسي في الليمان عندما ودعوني استبشروا خيرا، فقد توقفت قوائم الإفراج بعد خروج السياسيين لمقابلة مبارك ثم كبار السن والمرضي ثم الشيوخ، وتفاءلوا وأعدوا لي حقيبتي وكان النقيب المرافق لي أيضًا مستبشرًا، وعندما خرجت من حجرة فؤاد علام تساءل معي إلى أين؟ وجاء الجواب سريعًا إلى ليمان أبي زعبل من جديد لأمكث بعدها ٥ شهور جديدة في «أبو زعبل» خرجت من أبو زعبل إلى استقبال طرة من جديد ولكن باحتفال مختلف هذه المرة حفلة استقبال كانت عبارة عن حلق جزء من اللحية والشارب والحاجب وشعر الرأس، وصفع وركل أصابني منه الكثير جدًّا بسبب أنني كنت في لجنة إدارة شئون المعتقلين «المتحفظ عليهم» منذ ٣ سبتمبر وحتى اقتيادي إلى التأديب والتي أشرف عليها الأخ المرحوم جابر رزق مع أخي عبد المنعم أبو الفتوح وحلمي الجزار، وعانينا كثيرًا في إدارة الأمور بسبب التنوع الشديد بين المعتقلين الذين كانوا يرفضون نظام التريض

داخل العنبر والذي كان لابد أن يتدرج من ربع ساعة لكل ربع دور ثم يتسع حتى يصل إلى نهار كامل حسب تطور الأمور داخل السجن والشكاوي الصحية المستمرة، وكبار السن الذين لابد من عناية خاصة لهم، والسماح للوزراء السابقين في الطابق الأرضي مثل أ.د. إسماعيل صبري عبد الله وعبد العظيم أبو العطا وفؤاد مرسي رحمهم الله بمزيد من التريض والتساهيل مما كان يثير دهشة البعض وحنق البعض الآخر.

قضيت ليلة ليلاء لأن سكان الزنزانة كانوا من أماكن مختلفة من سجون أو الشارع أو مقار مباحث أمن الدولة، وكأن على رؤوس الجميع الطير، لا يدرون ماذا يصيبهم؟ وبعض من كان معنا قبل اغتيال السادات في سجن الاستقبال يخشون على مصيرهم في القضايا المفتوحة، وكان سجن الاستقبال تحول إلى باستيل جديد، يتم فيه التعذيب البشع والتحقيقات المستمرة، وأحيانًا يتم اقتياد البعض إلى خارج السجن دون تسجيل في الكشوف الرسمية والتحقيق معهم وتعذيبهم في أماكن أخرى.

عرفت فيما بعد أن التحقيق مع أخي د. عبد المنعم أبو الفتوح تم في مستشفى سجن الاستقبال، وكان يشرف على التحقيقات فؤاد علام وكيل مباحث أمن الدولة آنذاك، وعرف أن الأخ الكبير عبد المتعال الجابري كان هناك أيضًا وتم التحقيق معه. لم أمكث إلا ليلة واحدة وتم النداء عليَّ صباح اليوم التالي للانتقال إلى سجن القلعة بكل ما يحمله من تاريخ في التعذيب والاعتقالات وكانت ثلاثة أسابيع عصيبة.

بعد أن ذقت الظلم والقهر، لا أريد أن يتم ظلم بشر ولو كان ضابطًا سابقًا في جهاز أمن الدولة.

لابد من تغيير السياسات والفلسفة التي تحكم عمل الشرطة وخاصة أمن الدولة.

أود أن أوضح أنني وأنا أسرد هذه الذكريات أريد وضع بعض النقاط على الحروف:

أولًا- لا أشمت أبدًا في إنسان، فبعد أن ذقت الظلم والقهر، لا أريد أن يتم ظلم بشر ولو كان ضابطًا سابقًا في جهاز أمن الدولة.. المهم هو الحساب العادل، وإذا كان البعض منهم يتعلل بعدم مسئوليته لأنه كان تابعًا لمسئولين أعلى منه، فستظل هناك الضوابط القانونية والإنسانية التي تحكم عمل كل موظف عام، وسيظل الحساب الأكبر أمام الله عَزَّوَجَلَّ الذي لا تخفى عليه خافية.

وقد تعجبت في أحد اللقاءات التلفزيونية من حكمة الله تعالى، فقد هددني أحد القيادات الأمنية أثناء القبض على صبيحة يوم الجمعة ٦/ ٥/ ٢٠٠٥م وسيأتي تفصيل ذلك في سياقه، بأنني سألبس الملابس الزرقاء، بما يفيد أنه أعد قضية محكمة لإحالتي وضيوفي إلى المحكمة العسكرية والأحكام جاهزة معدة سلفًا، وذلك لأنني نبهت زوجتي إلى تجهيز حقيقة بها ملابس بيضاء الخاصة بالحبس الاحتياطي، وقلت في الحوار التليفزيوني أنه الآن في سبيله إلى لبس الملابس الزرقاء.

لم تكن هذه شماتة أبدًا، فليس ذلك من طبعي، ولكنه التعجب من تصريف الله للأمور.

ثانيًا- في حوارات متعددة مع قيادات أمنية في أمن الدولة كان جوابهم باستمرار أنهم في خدمة النظام، أي نظام يحكم، وأنهم سيقومون بخدمة النظام الحاكم حتى لو كان من الإخوان المسلمين. وذكر لي الأخ الصديق الأستاذ عبد المنعم عبد المقصود أنه سأله أحدهم: أين يكون مصيرهم إذا وصل الإخوان للحكم أو زال نظام مبارك؟

فقال له: سنتبادل المواقع.

تذكر الأخ عبد المنعم هذا الحوار أثناء حوار المجلس العسكري مع القيادات السياسية والذي حضره فضيلة المرشد العام الأستاذ الدكتور محمد بديع، وكانت قيادات أمن الدولة في محبسها بأكاديمية الشرطة.

ثالثًا- إذا لم تتغير السياسات والفلسفة التي حكمت عمل الشرطة عامة وجهاز أمن الدولة خاصة عبر العصور المختلفة، فإنه ربما ستعود إلى عادتها القديمة كما يقول المثل السائر.

فقد ظل هذا الجهاز منذ نشأته يعمل لحماية النظام الحاكم ولبس للمصلحة الوطنية العليا، وأعتقد أن التحول إلى نظام حكم ديمقراطي يقوم على النظام البرلماني، بما يعني إمكانية تغيير الحكومات بسهولة وفي ظل رقابة برلمانية شديدة وأخرى شعبية أشد، يمكن أن نصل إلى صيغة وطنية لعمل الجهاز تحتاج إلى عدة ضوابط أهمها:

- استقلالية الجهاز عن الحكومة.
- عدم تدخل الجهاز في الحياة اليومية للمواطنين.
- عدم تدخل الجهاز في الحياة السياسية والحزبية.
- حصر وظائف الجهاز بدقة شديدة.
- نقل كافة العاملين بالجهاز، خاصة القيادات العليا والوسيطة إلى إدارات شرطية أخرى.
- تأهيل عدد كاف من الضباط على المهمة الجديدة والسياسة المقترحة.
- وجود جهاز رقابي داخل وزارة الداخلية يتابع بقة مصرفات الجهاز الجديد والمحاسبة الفورية على أي انحرافات.
- الرقابة الشعبية والبرلمانية القوية لتصحيح أية أخطاء أولا بأول.

بعد مبيت ليلة واحدة في سجن استقبال طرة الذي تحول بعد رحيل المتحفظ عليهم في ٣سبتمبر إلى سجون أخرى أهمها: أبو زعبل، ملحق المزرعة، ليمان طرة، تحول الاستقبال إلى باستيل للتعذيب أو احتجاز للسحب منه من الأبواب الخلفية دون تدوين

في السجلات للقتل خارج القانون أحيانًا، أو مع تدوين البيانات عند الانتقال إلى سجون أخرى.

كان التحقيق يتم أولا في مبنى الإدارة والملحق بالمستشفى الصغير، كما أخبرني أخي عبد المنعم أبو الفتوح الذي تم معه تحقيق في سجن الاستقبال قبل نقله إلى ليمان طرة ليقضي فيه بقية السنة حتى الإفراج عنه بصحبة أخي حلمي الجزار وأشهر ضيوف الليمان آنذاك الشيخ المحلاوي والشيخ يوسف البدري حفظهم الله وكان تم اعتقالهما مع آخرين قبل أحداث سبتمبر الشهيرة، ونال المحلاوي من سباب السادات الكثير في خطبته الشهيرة إلى حد وصفه بأنه مرمي مثل «الكلب» في السجن مما أثار حنق وغضب معظم المصريين، أما الشيخ البدري فقد قاد مظاهرة من مسجد الدار الآخرة، بحدائق حلوان معترضا على سياسات النظام أو اعتقالات سبتمبر.

وكان معهد أمناء الشرطة القريب من السجن هو ساحة أخرى للتعذيب البشع إذا لزم الأمر خاصة في قضية الانتماء لتنظيم الجماعة الإسلامية أو الجهاد.

لم أتعرف خلال الليلة العصيبة في سجن الاستقبال إلا على الأخ محمد حسن الكريمي من الإسماعيلية، وبقية ال ٢٠ في الزنزانة التي لا تحتمل إلا عشرة، فقط كانوا شبابًا حديثي السن عليهم آثار التعذيب، وفي وجوههم رعب لا يتصوره عقل.

حاولت تهدئتهم قدر ما أستطيع، ولم أمكث معهم إلا سواد الليل، وفي صباح اليوم التالي كان النداء علي من جديد، ولا قدرة لك على السؤال: إلى أين؟ أو هل أحضر أمتعتي؟ كانت أمتعتي هي شنطة هاندباج بها غياران وفوطة، وكنت ألبس جلابية صيفية حيث لم أحمل معي عند الاستدعاء إلا هذا القدر من الملابس، والباقي تم تركه في زنزانتي الأولى يوم ١٦/ ١٠ عند مغادرتها توجهت سيارة الترحيلات الكئيبة إلى جهة القلعة، فعرفت أنني ذاهب إلى مسلخ آخر أشد قسوة.

كانت المسالخ عديدة: بعضها يحقق في اغتيال السادات، وبعضها في أحداث أسيوط، وبعضها في قضايا الانتماء وللجماعة الإسلامية أو الجهاد وبعضها حول الأحداث عامة وعلاقة بعض الأطراف بها.

الظاهر أن سجن القلعة كان مخصصا للتحقيق في قضايا الانتماء والعلاقات الأخرى.

مكثت في العراء معصوب العينين دون مصحف ولا ملابس إلا ما على جسدي الذي كان نحيلا وقتها من غيار داخلي وجلابية صيفية في أوائل شهر نوفمبر وفي القلعة التي ترتفع عن أسطح الأرض بحوالي أكثر من مائة متر.

ظللت يومين واقفًا لا أجلس، أصلي في مكاني أسبح وأذكر الله أستمع إلى أنات المعذبين وصرخاتهم من حولي.

قبل نهاية اليومين سمعت من يهمس في أذني بصوت رخيم لا انفعال فيه: أهلا وسهلا، بقالك كم ساعة أو كم يوم؟

أجبته: يومان.

قال: نريد أن نجلس معًا جلسة روحانية أو قال: جلسة إخوانية؟ ثم أمر أن يذهب بي الحارس إلى حجرة التحقيق.

كان – كما علمت فيما بعد – محمد عبد الفتاح عمر الذي أصبح نائبًا فيما بعد بمجلس الشعب، وذكرته مرارًا بما اقترفت يداه، ولم يهتز له جفن أو يتحرك به ضمير.

حقق معي أولًا بنفسه لمدة ساعة أو يزيد، معلومات عامة، ثم تركني لزبانيته الذين قاموا بتعليقي من كتفي على باب الحجرة بحيث يكون جسدي في جهة، وذراعاي في الجهة الأخرى.

وبين الحين والحين الآخر يتم الضرب والإهانة للحصول على أية اعترافات كان من الواضح أنهم في متاهة، لا يعرفون شيئًا عما حدث وعن تركيبة الجماعات الإسلامية المتعددة والفرق المختلفة.

(نشر في صوت الأمة يوم ١٠ - ٠٤ - ٢٠١١)

opeikandl.com

كيف كان المعتقل السياسي يقضي وقته في سجون الرئيس المخلوع «مبارك»

لم تختلف كثيرًا الطرق والأساليب التي يقضي بها المعتقل وقته فالجميع لديهم معرفة ما عن الأهداف التي يسعى الاعتقال إلى تحقيقها وأساليب الأجهزة الأمنية لتحقيق هذه الأهداف، صحيح أن هذه المعرفة تفاوتت بإختلاف الأشخاص بحسب المستوى الثقافي والفكري لكل منهم ولكن كان دائمًا هناك حد أدنى من هذه المعرفة كما كانت هذه المعرفة دائمًا قابلة للإنتشار عن طريق تطوع البعض لتعليم غيرهم حول هذا الأمر، كان مشهورًا أن انهيار صحة المعتقل النفسية للقضاء على عزيمته وإرادته هو الهدف، وفي الطريق إلى ذلك لابد أن يمر السجان بالصحة البدنية للمعتقل فيزلزلها ليصل لهدفه، كان ذلك كله راسخا في أذهان المعتقلين وحتى من أهمل هذه المعرفة فقد علمته الأيام.كان العديد من المعتقلين قد قرأوا ما كتبه صلاح نصر بشأن أساليب التعذيب وغسيل المخ في كتابه الحرب النفسية الجزء الثانى، وكانوا يدركون كيف يجرى تطبيق ذلك في أرض الواقع عليهم هم أنفسهم، ويسعون لتجنيب أنفسهم سلبيات التعذيب والتجويع الذي يجرى عليهم.

ومن هذا المنطلق أيضًا ترسخت تقاليد إدارة المعتقلين لأوقاتهم بحيث صار لها عرف سائد في كل الزنازين بين كل المعتقلين.

وأول هذه الأعراف كان ممارسة الرياضة البدنية بشكل منتظم، وأخذت هذه الممارسة الشكل الجماعى أو شبه الجماعى، وكان هناك حرص عام على ممارسة التمرينات الرياضية العامة تحت كل الظروف مهما كان التضييق والمنع من إدارة السجن، حيث كانت تجرى ممارستها في أوقات نوم أو غفلة السجانين، وكان ذلك غالبًا بعد صلاة الفجر بساعة أو بعد صلاة العصر بساعة ونصف وأحيانًا بالمساء. واختلفت كمية

التمرينات وقوتها ودرجة المواظبة عليها من وقت لأخر ومن مجموعة لأخرى، لكن لاحظت أن الاهتمام بها والمواظبة عليها كان أشد في حالات الضيق والشدة عنه في حالات تحسن المعاملة وامتناع التعذيب، ولكن ظلت طائفة واسعة مواظبة بجدية على ألوان من الرياضة مهما تحسنت الظروف، وفي ظل تحسن الظروف في الآونة الأخيرة أصبح متاحا بدرجة ما ألوان عديدة من الرياضة وإن بأدوات وإمكانات محدودة وبدائية كالكرة الطائرة وكرة القدم وكرة السرعة والإسكواش كما أتيح لنا طبعًا في السنوات الأخيرة ممارسة المشي والجري.

وبالنسبة للكرة الطائرة فقد جرى عمل الشبكة من خيوط المكرميات التي جرى استقدامها من خارج السجن والذي قام بصنعها هو صياد سمك كان من بين الأخوة المعتقلين، أما الكرة فقد صنعت أولا من بالونات تم إدخال بعضها في بعض ثم تم نفخها، وبعد ذلك جرى لف قليل من الخيوط حولها ثم أدخلت في جورب قديم، وفي وقت متأخر جدًّا سمحت الإدارة بدخول كرة طائرة حقيقية للسجن.

أما كرة القدم فقد ظلت دائمًا تصنع بالطريقة التي مازالت تصنع بها في حواري وأزقة القاهرة من الإسفنج والخيط ونوع من غراء الأحذية وأكياس بلاستيك وجوارب.

كما صنعت كرة الإسكواش من تركيبة مشابهة، ولم يوجد أبدًا ملعب إسكواش حقيقي بل جرى اللعب في مواجهة أي حائط مستوي بشرط أن تكون الأرض التي أمامه مستوية وجرى وضع علامات على الحائط والأرض لتحديد حدود الملعب وقد استعملنا زهرة الغسيل الزرقاء لعمل هذه العلامات بعد إحلال الزهرة بالماء طبعًا.

ولكن أي ممارسة للرياضة من أي نوع لم تكن ممكنة في أوقات التعذيب الشديد خاصة المصحوب بعصب العينين والرقابة اللصيقة من السجانين طوال الوقت، إنما كانت ممكنة في الأوقات التي يكون التعذيب فيها لبعض الوقت وليس كله ولا تكون

رقابة السجانين مستمرة طول الوقت، بالإضافة للأوقات التي ينعدم فيها التعذيب وتقل سوء المعاملة.

وعلى كل حال كانت ممارسة الرياضة تأخذ وقتًا محدودًا من يوم المعتقل، وكانت على المعتقل مهام أخرى كثيرة يلزمه القيام بها مثل أداء الصلوات الخمس في مواقيتها مهما كان المنع أو التعذيب أوالتضييق، وكان أداء الصلاة في جماعة أمر ضروري جدًّا من الناحية الدينية لأن صلاة الجماعة ثوابها أكبر من الصلاة الفردية بسبع وعشرين درجة، ورغم ما جرته صلاة الجماعة كثيرًا من متاعب قليلة أو كثيرة بحسب الحال إلا أن المعتقلين واظبوا عليها في كل الأوقات غالبًا.

كما واظب كثير من المعتقلين على قيام الليل، وذلك بأن يستيقظوا بعد منتصف الليل بفترة ما ثم يصلون تطوعا حتى أذان الفجر، ولقيام الليل فضيلة عظمى في الإسلام حتى أنه كان فريضة على كل المسلمين في بداية الإسلام ثم خفف الله على المسلمين فجعله نافلة أي من فعله يثاب ومن لم يفعله لا يعاقب، ومن فضائله أن الله يغفر للمسلم ويقبل توبته ويستجيب لدعائه أثناء قيام الليل بشكل أكثر تأكيدًا من الأوقات الأخرى.ورغم أن كثيرًا من المعتقلين واظبوا على قيام الليل طوال فترة اعتقالهم فإن الذين واظبوا عليها في أوقات التعذيب والشدة كانوا أكثر بكثير ممن واظبوا عليها في أوقات توقف التعذيب وتحسن المعاملة، وهكذا الإنسان يلجأ إلى الله في وقت الشدة أكثر من وقت الرخاء حتى لو كان رخاءًا نسبيًّا. وفي النهار كان المعتقل يقضي وقته في تلاوة القرآن إن كان حافظًا له أما إن لم يكن حافظا له فوقته يتوزع بين وقت للتلاوة ووقت للحفظ، وكان عدد لا بأس به يختم القرآن في ثلاثة أيام والقليل جدًّا كانوا يختمون في يومين، والكثيرون كانوا يختمون القرآن في أسبوع والغالبية كانت تختم في عشرة أيام ونادر من كان يقل عن ذلك، وكان معدل القراءة يزيد ويقل بحسب زيادة أو قلة التعذيب وسوء المعاملة كما هو

الأمـر في قيام الليل، وكذلك تأثر معدل تلاوة القرآن سـلبًا بمعدل توفر الكتب والورق والأقلام إذ شـغلت قراءة الكتب البعض عن تلاوة القرآن بدرجة ما، وكان أعلى معدل لقـراءة القـرآن سـنوات منع دخول الكتب وقد إسـتمرت هذه السـنوات من أوخر عام ١٩٩٣م وحتى آخر ٢٠٠٣م.

وكان أعـلى معـدل لحفـظ القرآن لدى الأشـخاص غير الحافظين له هو السـنوات التي تم فيها منع المصحف من السـجن وهذه السـنوات امتدت في سجن الوادي الجديد (الواحـات) منـذ قدوم المعتقلين السياسـيين له في فبراير ١٩٩٥م وحتـى نهاية ٢٠٠١م، وكان عـدد هـذه السـنوات أقل في السـجون الأخـرى. وقد تغلـب المعتقلـون على منع المصحـف بـأن اعتمـدوا في تـلاوة القرآن عـلى حفظهم هذا بالنسـبة للحافظـين أما غبر الحافظـين فقـد اعتمدوا عـلى أن يحفظوا بالتلقي الشـفهي من الحافطين، أمـا الذين تعذر عليهم ذلك الأسـلوب مـن الحفظ فقد احتاجوا لكتابة القدر الذي سـيحفظونه كل يوم ليحفظـوه مـن المكتوب، لكن الأقلام والأوراق كانت ممنوعـة فلجأنا للحيلة لإتمام مثل هذه الكتابة.

وكان لهذا التحايل أساليب متعددة منها تهريب نقود لداخل السجن وإستخدامها لشراء الورق والأقلام إما من أحد المسـجونين الجنائين وإما من أحد السـجانين، وهناك أوقات كثيرة إستحال فيها ذلك، ولقد أفادتنا السجون الجديدة التي تكلف بناؤها مئات الملايين حيث تم دهنها بدهان ناعم للغاية بحيث ينزلق من عليها القلم الجاف إذا حاول أحـد الكتابـة عليها كما لا يمكن الكتابة عليها بالحفر كما كان حالنا في السـجون القديمة المدهونـة بالجير بسـبب خاصية الإنزلاق هذه، لكن الله هدانا للحل بحيث إسـتفدنا من هذه الدهانات الحديثة بما لم يخطر على بال مصمميها، فقد اكتشفنا أن معظم أنابيب الدواء التي في صورة مرهم أو جل مصنوعة من معدن الرصاص وأن الرصاص يكتب بسهولة

عـلى هذه الحوائط الناعمة وتنمحي هذه الكتابة بمجرد دلكها بالإصبع أو بقطعة قماش، واسـتعمل جميع المعتقلين هـذه الطريقة في الكتابة في كل السـجون، واختلفت أسـاليب المعتقلين في ذلك فالبعض كان يكتب آخر النهار بعد تشـميع مفاتيح السـجن في الخزينة الخاصة بذلك في إدارة السـجن حيث تتعذر حينئذ مراقبة ما يجرى في الزنزانة ثم يقوموا بمحـو ما كتبوه بعد الفجر لئلا يراه السـجانون في الصباح، بينـما لم يبال أخرون بعواقب رؤية السجانين لهذه الكتابات، وكان جزاء الكتابة هوالضرب المبرح وربما صحبه أحيانًا الحبس في عنبر التأديب، وأذكر ذات مرة أن السجانين وجدوا في زنزانتنا بعضا من أيات القرآن مكتوبة على الحائط فظلوا يضربوننا ويقولون: «تكتبون القرآن على الحائط يا كفرة يا أولاد الكلب..... هو القرآن يكتب على الحائط يا كفرة».

وتفنـن المعتقلون في عمل أدوات الكتابة من أنابيب المرهم فكانوا يبسـطوا أجزاءًا منهـا لتصير رقاقة مسـتوية ثم يلفونها بالشـكل الذي يريدونه وبالحجـم الذي يريدونه، والكثيرون نجحوا في عمل سـن دقيق منها مثل سـن القلم الرصاص ثم عملوا قلم من العجين المأخوذ من لبابة الخبز وزرعوا فيه السن المذكور ثم تركوه يجف وإستعملوه، كما نجح هذا القلم في الكتابة على الورق كلما حصلنا على ورقة ما ولكن بخط خفيف مقروء، وكان جـزاء الزنزانـة التي يعثر فيها السـجانون عـلى أدوات كتابة من هـذه أو غيرها هو الضرب المبرح لجميع من فيها والحبس في عنبر التأديب، وحدث معى ذلك في أغسطس ٢٠٠١م حيث كان التعذيب قد خف كثيرًا في سـجن الفيوم في هذه الفترة وخف سـوء المعاملة قليلًا مما مكنا من شراء أنابيب أقلام جاف سرًّا من بعض السجانين، وجاء بعض الضباط ومعهم عدد من المخبرين والجنود وفتشـوا زنزانتنا وعثروا بعد جهد وعناء على أنبوبة قلم جاف مخبأة بالزنزانة فنقلوا كل المعتقلين بالزنزانة إلى عنبر التأديب بعد أن وجهوا لنا قدرا لا بأس به من التوبيخ وبعد أن حلقوا لنا رؤسنا ولحانا على الزيرو، وصدر القرار

ببقائنا بالتأديب عشرة أيام فأضربت يومها عن الطعام إضرابًا استمر حينئذ لمدة ٣٩ يومًا لأني شعرت وقتها أن ضابط أمن الدولة المقيم بالسجن متعنت ضدي حيث يتعمد دائمًا الإكثار من تفتيش زنزانتي لمجرد أني موجود بها، وذلك بالمقارنة بالزنازين الأخرى، فضلا عن اعتقالي المستمر بلا مبرر رغم القرارت القضائية العديدة بالإفراج عني. وعلى كل حال فعندما اكتشفت الأجهزة الأمنية استخدامنا لأنابيب المرهم في الكتابة منعت تدوال الأدوية من هذه النوعية سواء كان مصدرها مستشفى السجن أو أهالي المعتقلين، لكن في الحالات المرضية القصوى سمحت بها بشرط أن يقوم ممرض السجن بإفراغها في أكياس بلاستيك، لكن رغم ذلك ظل الحصول على أنابيب المرهم هذه أسهل من الحصول على قلم رصاص أو أنبوبة قلم جاف.

ولم تكن تلاوة القرآن وحفظه هو النشاط الوحيد الذي كان يقضي فيه المعتقل يومه بل كان هناك أنشطة أخرى منها بل أهمها بعد الصلاة والقرآن هو حفظ الأحاديث، وطبعًا لم تكن لدينا كتب في السنوات العشر الأولى فكان كل من يحفظ أحاديث يمليها على من لا يحفظ أو يكتبها ويتم ذلك كله على مستوى العنبر كله (عشرون زنزانة) فيتحصل بذلك عدة مئات من الأحاديث للعنبر كله ويجرى تدوالها بين كل الزنازين ليحفظها كل من شاء، وعندما كانت الظروف تسمح فقد كان يجرى عمل مسابقات فيها بين الحافظين، كما كان يجرى مراجعتها بشكل جماعي بصوت مرتفع نسبيًّا بعد كل صلاة من الصلوات الخمس في حالة سمحت الظروف بذلك، وبعد ذلك كلما سمحت الظروف جرى تبادل مجموعات الأحاديث الخاصة بكل عنبر مع العنابر الأخرى.

وعندما سمحوا بدخول الكتب المقررة على ثانوي عام وثانوي أزهري جرى استخلاص الأحاديث الموجودة بها وجرى تداولها وحفظها في كل السجن، ولم يكن السماح بهذه الكتب دائمًا بل كان يجري السماح بها لعدة أسابيع كل عام دراسي ثم تتم

مصادرتها نهائيًّا، لكن كان يتم تفريغ ما بها من أحاديث في هذه الفترة القصيرة، وبعد سنتين أو ثلاثة أصبح الكثيرون يحفظونها ولم نعد بحاجة لهذه الكتب.

كما تم تهريب كتاب أو اثنين كلما سمحت الفرصة بطريقة الشراء من المسجونين الجنائين أو السجانين وكلاهما كان يسرق الكتب والمصاحف من مخزن السجن ويبيعها لنا وهي التي سبق أن صادروها منا أثناء دخولنا السجن، وكانت عملية شراء كتب أو مصاحف أو غيرها من المسجونين أو السجانين محفوفة بالمخاطر لأن المباحث كانت أحيانًا ما تدفع بهؤلاء لعمل مصيدة للأخوة بوعدهم ببعض المصاحف أو الكتب مقابل بعض المال وعند التسليم والتسلم يتم مداهمة الأخوة وضبط المال والمصاحف، ويتم معاقبة الزنزانة كلها بالضرب وربما يوضعوا كلهم أو بعضهم بعنبر التأديب، كما يتم التحقيق عن مصدر وكيفية حصول المعتقلين على المال داخل الزنزانة لأن حيازة المال ممنوعة في السجن.

ومن الأشياء التي قضى فيها المعتقلون أوقاتهم حفظ المتون، والمتن هو منهج تعليمي إسلامي تقليدي قديم وهو عبارة عن نص مختصر تمت صياغته ليسهل حفظه وهو يحوي كل أو معظم عناصر علم ما من علوم الدراسات الشرعية الإسلامية أو علم اللغة العربية، مثل علم أصول الفقه أو الفقه أوعلم أصول الحديث أو علم أحكام تجويد القرآن أوعلم قراءات القرآن الكريم أوالنحو العربي أو البلاغة أو المواريث وغيرها، وقد صيغت هذه المتون نظمًا غالبًا ليسهل حفظها وأحيانًا نثرًا، وقد تم تصميم هذه المتون لتجعل حافظها حافظًا لمعظم عناصر العلم التي وضعت بشأنه، وذلك بعبارة سهلة وواضحة أحيانًا أو بعبارة صعبة في أحيان أخرى، وهذه المتون منها المطول الحاوي لمعظم تفصيلات مسائل العلم الذي تخصه، ومنها القصير الذي يقتصر على أمهات مسائل هذا العلم فقط، ولقد كانت هذه المتون منتشرة في السجون يتم تداولها بالتلقي الشفهي أو بالكتابة من الحافظين لها ولكن كان في بعضها أخطاء كثيرة بسبب كثرة تناقلها عبر الأفواه

مـع تعقيدات الكتابة التي سـبق وذكرناها، ولكنها قضـت الغرض منها في ظل حظر أي مصـدر للتعلم، وأنا شـخصيا حفظـت متونا في العقيدة وأصـول الفقه وأصول الحديث والقواعـد الفقهيـة وغيرها بهـذه الطريقة، كما حفظـت ٨٠٠ بيتًا من ألفيـة ابن مالك في النحـو من ورق صغير، حجم الورقـة الواحدة منه أقل من حجم الكف، كان قد أملاها أحد المعتقلين من ذاكرته في سجن الفيوم.

وكان مـن ضمن الأنشـطة اليوميـة المعتادة تلقي الـدروس في أي من فروع العلوم الشرعيـة أو اللغـة العربيـة أو التاريخ أو السياسـة، فكان المعتقلـون المتميزون في أي من هذه العلوم يلقونها على زملائهم حسـب ظروف المراقبة والتضييق في السـجن وحسـب ترتيبـات كل زنزانة أوعنبر، وكان من المعتاد أنـه يجري كتابة الدروس المتميزة أو التي في تخصـص نـادر ثم يتـم تداولها بين الزنازين بـل والعنابر وذلك في إطـار من الإخفاء لأن عواقب ضبط إدارة السجن لمثل هذه الأشياء هي عواقب مريرة.

كان يوم المعتقل يبدأ كالتالي: نصلي جميعًا الفجر جماعة ثم يتلو كل منا (منفردًا) أذكار الصباح، ثم ينام البعض بينما يؤثر البعض الأخر أن يجلس يتلو أو يحفظ القرآن، ثم في التاسعة صباحًا أو بعدها بقليل يستيقظ الجميع ويتناولوا الإفطار وبعده يبدأ الجميع يومهم.

وعـادة ما يكـون القرآن هو أول ما يبـدأ به أي معتقل يومه ثم يكمل بقية أنشـطته المذكـورة في السـابق، لكن الذين جلسـوا بعـد الفجر حتى ذلك الوقت عـادة ما يكونوا أتموا القدر اليومى الملتزمين به من القرآن في ذلك الوقت فيبدأون بعد الإفطار أنشـطتهم الأخرى، ويسـتمر ذلك طوال النهار، ولو سـمحت الظروف فكثيرون ينامون القيلولة بعـد صلاة الظهـر ليتمكنوا من صلاة قيـام الليل لكنها أصبحت عـادة يعملها من يقوم الليـل ومـن لايقوم الليـل، ثم يصلى الجميع العصر جماعة، ثم يمارسـون أنشـطتهم حتى صلاة المغرب وبعد الصلاة غالبًا ما يحين موعد وجبة الطعام الأخيرة، وسبب جعلها في

هـذا الموعـد هو أن كثيرًا من المعتقلين يكونوا صائمين فتـم اختيار ذلك الموعد كي تتحد وجبة الصائمين مع غير الصائمين.

ولقـد كان عـدد غير قليل مـن المعتقلين يصوم يومًـا ويفطر يومًا، وعـدد أقل كان يصـوم كل يـوم عدا أيام العيـد (لأن صيام أيـام العيد حـرام)، وكان الأغلب يصومون الإثنـين والخميـس والأيام القمريـة (أي أيام ١٣ و١٤ و١٥ من الشـهر العربي) لأن كل ذلك سنن مستحبة.

ولقد ترسخت عادة أن طعام المعتقلين وجبتان فقط في اليوم لقلة الطعام كما لم يكن يمكـن لأي شـخص أن يتناول طعامًـا في غير الأوقات المحددة، وطبعًـا كان الصائمون يتسـحرون قبـل الفجـر، ثم عندما أصبـح الطعام وفيرًا اسـتمر أكثر المعتقلـين على عادة الاكتفـاء بوجبتين في نفس المواعيد لكـن صار لكل أحد حرية أن يتناول أي طعام في أي وقت. وبعد وجبة العشـاء بقليل يحين موعد صلاة العشـاء ونصليها، وبعدها ينام الذين يواظبـون على قيام الليل وكـذا الذين لا ينامون بعد صلاة الفجر أما الباقون فيجلسـون لبعض الوقت ثم ينامون.

كانت الممارسـات السـابقة لقضاء الوقت تهدف بالأساس لدى الأغلبية للترقي في العمـل الصالـح وتطوير الذات علميًّا، واتخذت العملية شـكل التحـدي لأن إجراءات الأجهـزة الأمنيـة كانـت واضحة في أنها تهـدف لهدم عقـول المعتقلين وتأخيرهـم علميًّا واقتصاديًّـا واجتماعيًّا، لكن البعض كان يرى أن الوسـائل والمـواد العلمية المتاحة والجو النفسي المحيط لا يسـمح بترقي علمي حقيقي لكن ما يجري مـن جهود علمية هو مجرد إجراءات تهدف لإشغال المعتقلين عما هم فيه من همّ وبلاء.

لكـن الآن بعـد هـذه السـنوات نجـد أن نتائـج التحصيـل العلمي الـذي حصله الكثيرون موجودة، فهناك أشخاص حفظوا مئات بل آلاف الأحاديث النبوية وهناك من

حفظوا العديد من المتون العلمية وفهموها وهناك من تعلموا عددًا من قراءات القرآن الكريم، وصل الأمر مع بعضهم إلى إتقان القراءات العشر المتواترة، وهناك من أتقن لغة أجنبية أو أكثر خاصة الإنجليزية والفرنسية والألمانية والعبرية فضلًا طبعًا عن العربية أو السياسة أو التاريخ أو العلوم الشرعية. كما أنه عندما سمحت لنا الأجهزة الأمنية بالدراسة فقد حصل الكثيرون على شهادات علمية جامعية، واختلف هذا السماح من شخص لشخص ومن سجن لسجن ومن وقت لوقت.

وأنا شخصيًّا لم يسمحوا لي بتكملة دراسة الماجستير في كلية الآداب في التاريخ الحديث حتى يوم خروجي من السجن (أغسطس ٢٠٠٧م) رغم التحاقي بدراسات الماجستير منذ ١٩٩٠م بينما سمحوا لآخرين بإتمام الماجستير ثم الدكتوراه بنفس السجن، كما لم يسمحوا لي بالدراسة الجامعية (مرحلة البكالوريس) إلا في السنوات الأخيرة (آخر أربع سنوات)، وقد انتهزت هذه الفرصة لما يأست من عمل دراسات الماجستير بالسجن وحصلت على بكالوريوس الدراسات الإسلامية والعربية، وعلى معادلة البكالوريوس في الاقتصاد الإسلامي (أي تخصص فرعي).

لم يكن الوقت كله للصلاة وتلاوة القرآن والتعلم بل كان هناك أوقات للسمر وتجاذب أطراف الحديث وحكاية ما لدى كل شخص من الطرائف التي مر بها في حياته ونحو ذلك، وهذا عادة ما يكون في أوقات غفلة السجانين أو تغافلهم، وعادة ما يكون ذلك أيام الأجازات وأيام الجمعة وبالليل، لكن بعد عام ٢٠٠١م أصبحت فرص التسلية والترفيه أكبر وأفضل، لكن ذلك أثر إلى حد كبير على جهود الكثيرين في التعلم وتلاوة القرآن فلم تعد هذه الأمور عند البعض بنفس الهمة والنشاط السابقين.

(المقال للأستاذ عبد المنعم منيب - جريدة الدستور المصرية ٢ يناير ٢٠٠٨)

من ذكريات العيد في باستيل آل مبارك

في عام ٩٥ من القرن المنصرم وفي نفس التوقيت تحديداً كنّا نزلاء عنبر (ب) بسجن استقبال طرة.. وكانت الزيارة ممنوعة منذ فترة.. لا لسبب منطقي معقول سوي التضييق على المعتقلين رغبة من النظام الحاكم وقتذاك في كسر إرادتهم.. وكانت الغرف مكدسة حتى كان أحد الظرفاء يعلّق علي هذا الزحام بقوله ينام أحدنا ودعاءه حين ذلك « باسمك اللهم حشرت جنبي وباسمك أنزعه»!!!!.

وقد حدث مرة أن قام أحد الإخوة للذهاب إلى دورة المياه الملاصقة لمكان النوم والمعيشة تلبية لنداء الطبيعة.. وحين عاد مرة أخرى بعد قضاء الحاجة لم يجد مكان نومه.. حيث التصقت أجساد المجاورين له عن يمين وعن شمال بعضها ببعض فقال متهكمًا: «ياجماعة كان هنا مكان لفأر بينكم أين ذهب؟!!!».

نعم لقد كانت الغرف في تلك الأيام الخوالي تحديداً كما صورها العلامة القرضاوي في نونيته الشهيرة:

أعرفت ما قاسيت في زنزانة ... كانت هي القبر الذي يؤويني؟!
لا بل ظلمتُ القبر، فهو لذي التُّقى ... روض، وتلك جحيم أهل الدينِ!
هي في الشتاء وبرده ثلاجة ... هي في هجير الصيف مثل أتونِ
نُلقى ثمانيةً بها أو سبعة ... متداخلين كعلبة السردينِ
هي منتدانا وهي غرفة نومنا ... وهي البوفيه وحجرة الصالونِ
هي مسجد لصلاتنا ودعائنا ... هي ساحة للعب والتمرينِ
وهي الكنيف وللضرورة حكمها ... ما الذنب إلا ذنب من سجنوني
هي كل ما لي في الحياة فلم يعد ... في الكون ما أرجوه أو يرجوني

في هـذه الأيام وقد أقبل عيد الأضحى المبـارك والحالة هذه- وقد طلب مني الأخ المسـئول عـن توزيـع الخطباء عـلى الغرف وهو الشـيخ/ محمـد خفاجي وهـو من أخوة الدقهليـة المقدمين.. وقـد شرط عـليّ شرطًـا وهـو البعد عـن البكائيـات والابتعاد قدر الإمـكان عـن لمس الوتر الحسـاس عند الإخوة.. وخاصـة أنّ عددًا غير قليـل منهم قد جيء به إلى المعتقل كرهينة.. ليس إلاّ بمعنى أنّه ليس له في العير ولا في النفير.

وقـد قبلت الشرط ووعدت الأخ أن لا أقترب من هـذه المنطقة بالذات باعتبار أنّ هـذا عيد والسـنّة فيه هي اللهـو المباح والأفـراح والليالي الملاح.. وإنّ كنـت لابدّ فاعلًا فـلا بئس مـن التعريـج السريع على مآسـينا التي نعيشـها وتشـاركنا فيها أسرنا البائسـة المنكوبة.. ولكن فليكن ذلك في خطبة الجمعة لا العيد!!!

وجـاء العيد ووضع الإخوة عددًا من البطاطين بعضهـا فوق بعض كمنبر وبدأت خطبة العيد بالحمد والتكبير.. كما جرى مألوف العادة من الخطباء والوعاظ.. وما هي إلا لحظات حتى أفلت الزمام منّي وتبخرّ الوعد الذي وعدت به الأخ المسـئول.. «وعادت ريمة لعادتها القديمة» كما يقول المثل البلدي.

فلم يمض على بداية الخطبة إلا دقيقتان وقد وجدتني أقول مناشدًا الحجيج:

«يـا حجيـج بيـت الله الحرام.. أيّهـا النازحـون اليوم من عرفـات.. يا أيّهـا الركب الكـرام عنـد بيت الله الحـرام هل تذكـرون أنّ لكـم أخوانًا قد حبسـهم العـذر وقيدهم الأسر.. وأكلت جدران السـجون الأسمنتيّة من عافيتهم.. واستنزف الأسر المهين زهرة صباهم.. واصطلحت جملة من الأمراض المتخاصمة على البقيّة الباقية من صحتهم حتى جعلتها كأعجاز نخل خاوية!!

يـا حجيج بيت الله الحرام هـل تذكرون أنّ لإخوانكم هؤلاء ذريّـة ضعفاء حُرموا اليـوم فرحـة العيد وحالـت بينهم وبين والديهـم هذه الأسـوار العالية وتلـك الأبواب الحديدية الموصدة».

مـال الـزنـازن لا شـمس ولا ريـحٌ ... مـا بـالـهـا ذهـلـت عـنـهـا المفاتيح

مـا بـالـهـا قـد تـمـطّـي فـي عفونتها ... حـقـدٌ كـأنّ نـوايـاه التماسيح

وقـد مـضى منّـي الكلام على هـذا النسـق.. وعندها وقـع المحذور ومـا لم يكن لنا في الحسـبان.. فقـد انفجر الحـاضرون بالبكاء والعويـل وارتفعت الأصـوات بالنحيب والصراخ الهستيري.. وعادت أغاني العرس رجع نواحٍ.

وقـد مشـت هذه العبـارات في صدور الحضـور يومها مشي النعـي في دار عرسٍ.. وانتهت خطبة العيد على هذا المشـهد التراجيـدي الحزين.. ونظر إليّ الأخ محمد خفاجي نظـرة تحمل من المعـاني الكثير والكثير وقد توعدني بإيقافي عـن الخطابة فترة ما كنوع من العقوبـة عـلى ما كان منّي مـن عدم الالتزام بما اتفقنـا عليه من البعد عن مـا يذكر الناس بأولادهم وزوجاتهم وقد كان!!!

(حماد نصار ٢٨ أكتوبر ٢٠١٢ موقع الجماعة الإسلامية)